التعليق على شرح حديث جابر في صفة حج النبي ﷺ

للشيخ محمد بن عثيمين

أ. أناهيد بنت عيد السميري

من دروس عام ١٤٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الجزء الأول

اللقاء الأوّل _____ ٤

اللقاء الثّاني _____ ٢٥

اللقاء الثّالث _____ ٣٩

اللقاء الرّابع _____ ٥٤

اللقاء الخامس _____ ٧٣

اللقاء السّادس _____ ٩٦

اللقاء الأوّل

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكّلنا على الله، نبدأ في لقائنا الثّاني عشر من سلسلة "لقاءات العشر"، وبإذن الله نبدأ اليوم في "شرح حديث جابر -رضي الله عنه- في صفة حجّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-" وهذا الشّرح -بإذن الله- سيكون قراءة لشرح الشّيخ ابن عثيمين -رحمه الله- لهذا الحديث؛ وتعليق بسيط على شرح الشّيخ، لكن المقصود بهذه القراءة:

- بيان فقه الحديث.
- وبيان كيف يستنبط العلماء من أحاديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- هذا العلم الغزير.

قال الشيخ:

(بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله تعالى حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.)

اللّهمّ صلّ وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(أما بعد: فإن من شروط العبادة الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- وهما الركنان الأساسيان في كل عبادة فلا تقبل عبادة بشرك ولا تقبل عبادة ببدعة فالشرك ينافي الإخلاص والبدعة تنافي الإتباع)

هذه مقدّمة تبيّن أهمّيّة دراسة أحاديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في المسائل العمليّة، بمعنى: أنّ أيّ أمر أمرنا به؛ واجب علينا فيه العلم قبل العمل - وهذه كانت أوّل رسالة قرأناها في هذه اللّقاءات "لقاءات العشر" - أنّ أوّل واجب علينا في أيّ شيء أمرنا الله به أن نتعلّمه. لماذا؟ لأنّ العبادة شرط قبولها:

- أن يكون العامل عمل هذا العمل لله.
- وإذا عمله لله لابدّ أن يكون هذا العمل قد شرعه لله، وقد علّم عبيده كيف يعملونه، ولا يكون هذا إلّا عن طريق رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

فكان هذا شرطًا واضحًا أنّه لا عمل إلّا بإخلاص، ولا عمل إلّا بمتابعة لرسول الله.

فقال الشّيخ: (وهما الركنان الأساسيان في كل عبادة) ما ضدّهم؟

قال: (فلا تقبل عبادة بشرك ولا تقبل عبادة ببدعة) لماذا؟

لأنّ (الشرك ينافي الإخلاص والبدعة تنافي الإتباع) فأنت حين تعبد الله تكون طائعًا، ومن طاعة الله: أن لا تفعل العبادة إلّا كما أمرك الله.

الآن وصلنا إلى أنّه يجب علينا المتابعة. كيف تكون المتابعة؟

قال الشيخ:

(ولا تتحقق المتابعة إلا بمعرفة الصفة والكيفية)

يعني: ما الصّفة الّتي عبد الله بها رسول الله؟ أو أمرنا أن نعبد الله بها؟ وما الكيفيّة؟

(والكيفية التي أدى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- العبادة عليها ومن ثمّ احتاج العلماء رحمهم الله إلى بيان صفات العبادات فبيّنوا صفة الوضوء وصفة الصلاة وصفة الزكاة وصفة الصيام وصفة الحج وغير

ذلك حتى يعبد الناس الله -عزّ وجلّ- على شريعة محمد -صلّى الله عليه وسلّم-)

وهو رسول الله؛ لا يمكن عبادة الله إلّا بما دلّنا عليه رسول الله، يعني: رسول أتى من عند الله، أرسله الله ليصف للنّاس كيف يصلون إلى الله؟ فكيف نتجاهل الرّسول ونأتي من عند أنفسنا ونخترع طرقًا للعبادة، و"كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنّة" الّذي هو في صحيح البخاري، من أحسن الكتب الّتي تبيّن هذه المعاني، كتاب مهمّ جدًّا دراسته، وبيانه، والنّاس في حالة من التّفلّت من دينهم، وفي حالة من التّفلّت من متابعة رسوله -صلّى الله عليه وسلّم-.

قال الشّيخ:

(فحديث جابر -رضي الله عنه- الطويل المشهور في صفة حج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الذي جعله بعض العلماء عمدة صفة الحج وجعله منسكًا كاملًا)

الشّيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يقول إنّ حديث جابر الطّويل -وهو حديث مشهور- قد جعله بعض العلماء جعلوه صفة ومنسكًا للحجّ.

قال النّووي -رحمه الله- وهذا الكلام في هامش الرّسالة :

(قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح مسلم ٤٠٢/٨: حديث جابر حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد وهو من أفراد مسلم لم يروه البخاري في صحيحه ورواه

أبو داود كرواية مسلم قال القاضي وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه ابن المنذر جزء وخرج من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا لو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه .أ. هـ)\

يعني: النّووي ورأيه؛ أنّ ما فعله ابن المنذر، يمكن أن يأتي بضعفه لو زاد التّقصّي، أو زاد غيره التّقصّي لفقه الحديث. (مائة ونيفًا وخمسين نوعًا) يعني: فوق ١٥٠ نوعًا من الفقه، وهو يرى أنّ العدد ممكن أن يكون ضعف ذلك، من الأحكام المستنبطة من حديث جابر.

قال الشّيخ ابن عثيمين، رحمه الله:

(لأن جابرًا -رضي الله عنه- ضبط حج الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- من أوله إلى آخره.)

وهذا العمل من جابر -رضي الله عنه- كان عظيم النّفع والفائدة؛ فقد تابع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وترقّب جميع أعماله، ثمّ أتى واصفًا لها. فسبحان من سخّر لنبيّه أصحابًا يعتنون بشأن الدّين، ويهتمّون بنقله. (فذكر -رضي الله عنه-: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: كَيْفَ أَصْنَعُ؟

قَالَ: اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ»[1] وهنا تأكيد لهذا المنهج العظيم، وهو: منهج المتابعة. (فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ).

نبدأ بهذه الجُمَل من الحديث، لأنّ الشّيخ في الكتاب ذكر جميع الحديث بطوله ثمّ بدأ في شرحه. نبدأ في هذه الجمل:

قال الشيخ:

(شرح الحديث:

قال جابر -رضي الله عنه-: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ ».)

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

قال الشّيخ:

(« فَخَرَجْنَا مَعَهُ » كان ذلك في الخامس والعشرين من ذي القعدة في يوم السبت بعد أن أعلم الناس في خطبة الجمعة كيف يحرمون)

وهذه فائدة عظيمة، أنّ العمل سبقه التّعليم؛ حتّى أنّ الصّحابة ضبطوا متى خرجوا؛ لأنّهم تعلّموا اليوم وغدًا خرجوا؛ تعلّموا يوم الجمعة، ويوم السّبت ساروا؛ ففي خطبة الجمعة علّمهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كيف يحرمون؟

قال الشيخ:

(وسُئل ماذا يلبس المحرم وأوضح للناس مبادئ النسك)

لاحظوا: (مبادئ النسك) من أجل أنّهم حين يصلون إلى مكّة، وتبدأ أعمال جديدة؛ لا تُنْسِي طول المدّة، وكثرة الأوصاف، بعضها بعضًا، خصوصًا أنّ النّاس كانوا عربًا، لم تفتح بَعْدُ ديار الرّوم ولا الفرس، وكان الحجّ معروفًا عندهم؛ إلّا أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان يعلمهم على دين إبراهيم -عليه السّلام- فيزيل عن دين إبراهيم، وعن حجّ إبراهيم -عليه السّلام- كلّ بدعة ابتدعها أهل الشّرك، ويردّ الدّين، ويردّ الحجّ، ويردّ كلّ شيء حتّى أنّ في الشّهر الّذي حجّ فيه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- استدار الزّمان، وعاد شهر ذو الحجّة، بعدما كان المشركون يستعملون النّسيء. وإن شاء الله يتبيّن لنا هذا المعنى في مكانه.

قال الشّيخ:

(وبقي في ذي الحليفة وبات بها وفي اليوم التالي اغتسل ولبس ثياب إحرامه ثم أحرم. وقوله: «حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ» أتى بحرف (الفاء) لأنها معطوفة على جملة هي جواب الشرط يعني: حتى إذا أتينا ذا الحليفة نزل وصار كذا وكذا فولدت. وذو الحليفة ميقات أهل المدينة وتعرف الآن بأبيار علي)

وقد ذكر أهل المناهي اللّفظية أنّ هذه التّسمية من آثار الرّوافض: (أبيار علي)، لكنّها اشتهرت، والنّاس يستعملونها.

قال الشيخ:

(وهي مكان -أبيار علي- بينه وبين المدينة نحو تسعة أميال وبينه وبين مكة عشر مراحل وسمي بذي الحليفة لكثرة هذا الشجر فيه وهي شجرة الحَلْفَاءِ وهي معروفة.)

وهنا يتبيّن أمر مهمّ في مسألة الحجّ: أنّ الحجّ مواقيت زمانيّة ومكانيّة، فَمِنَ المهمّ ضبطها، ومعرفة هذه الأماكن، ومعرفة صفاتها؛ واليوم قد تسهّل هذا الأمر على النّاس، بما يملكون تحت أيديهم من خرائط، ومواقع تظهر بالأقمار الصّناعيّة؛ فمن المهمّ ضبط المواقيت الزّمانيّة والمكانيّة، وفهم أحوال هذه المواقيت. طبعًا هذا يُقال لمن يريد أن يزداد فقهًا وعلمًا وتقرّبًا إلى الله.

وانظروا إلى صحابة رسول الله كيف كانوا يعتنون بكلّ شيء يتّصل برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وهذا نوع من الاعتناء: (أنا أعرف هذا المكان أين؟) حتّى أنّ الشّيخ هنا يقول: (مكان بينه وبين المدينة نحو تسعة أميال وبينه وبين مكة عشر مراحل) ولماذا سُمّي بذي الحليفة؟

قال الشيخ:

(وقوله: «فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ» وهي زوجة أبي بكر -رضي الله عنه- ولدت محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كيف تصنع)

يعني: خرجت معهم حاجّة، فوضعت ابنها محمّد.

فقال لها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-:

(« اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي » فأمرها بالاغتسال للإحرام)

رغم أنّها نفساء، لكن أمرها بالاغتسال للإحرام.

(فأمرها بالاغتسال للإحرام وليس لرفع الحدث لأن الحدث لازال باقيًا وأمرها أن تستثفر بثوب يعني تتعصب به وتشد عليها ثوبًا حتى لا يخرج شيء من هذا الدم.

وقوله: «وَأَحْرِمِي» وأطلق لها الإحرام وقد أحرم الناس من ذي الحليفة على وجوه ثلاثة منهم من أحرم بالحج ومنهم من أحرم بالعمرة ومنهم من أحرم بالحج والعمرة.

ولم يقل لها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: «افعلي ما يفعل الحاج» كما قال لعائشة -رضي الله عنها- لأنها إنما أرسلت تسأل عن قضية معينة وهي الإحرام كيف تحرم؟ وقد أصابها ما أصابها ولم تسأله عن بقية النسك)

لم يأتِ بعد بقيّة النّسك؛ مدخلها مدخل النّسك كان الإحرام؛ فسؤالها هذا عن الإحرام، فعلّمها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ ومن ثَمَّ حين تأتي بقيّة الأعمال؛ تُنبّه ما هو العمل الّذي تعمله مع الحجّاج؟ وما هو العمل الّذي تُمنع منه؟

قال الشّيخ:

(ولم يقل لها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: «افعلي ما يفعل الحاج» كما قال لعائشة -رضي الله عنها- لأنها إنما أرسلت تسأل عن قضية معينة وهي الإحرام كيف تحرم؟ وقد أصابها ما أصابها ولم تسأله عن بقية النسك ولهذا أخطأ ابن حزم[1] رحمه الله حيث قال: إن النفساء يجوز لها أن تطوف بالبيت بخلاف الحائض واستدل لقوله بأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال لعائشة -رضي الله عنها-: « افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت »[2].)

لأنّ عائشة حائض؛ قال لها: «افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت»، وهذا وعائشة قد وصلت مكّة؛ فلأنّ ابن حزم ظاهري،

(١) المحلي ٥/ ١٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٠).

والظّاهريّة تأخذ بدلالة المطابقة فقط، وتدع دلالة التّضمّن والالتزام، وتدع أيضًا ملابسات وسياقات الأحداث، يعني: في الغالب تفعل هذا.

قال:

(ولو كان الطواف بالبيت ممنوعًا بالنسبة للنفساء لبيّنه النبي -صلّى الله عليه وسلّم-)

يعني: تصوّر أنّه مادام النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال لها: (اغتسلي وأحرمي) معناها: (وطوفي وافعلي ما يفعله الحاجّ) لأنّه في نظره أنّه لم يستثنِ؛ فمن ثمّ الحائض تطوف، والنّفساء لا.

وهذا من الأمثلة الّتي دائمًا تُضرب على الظّاهريّة في كونهم تركوا دلالة التّضمّن والالتزام. والحقيقة أنّ كثير من طلبة العلم اليوم حين يبدؤون في الشّبر الأوّل من العلم يعني: شبر التّكبّر؛ يكون موقفهم مثل موقف الظّاهريّة! يعني: يأتون فيقولون: (نحن نريد أن نتمسّك بسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وما نريد أن نخالفها) فيأتون لبعض الأدلّة، ويأخذونها بالظّاهر، ولا يفهمون دلالة النّصّ، ولا يفهمون ما يتضمّنه النّصّ، ما يلتزمه النّصّ، لا يفهمون في أيّ سياق أتى النّصّ؛ فهذه مشابهة للظّاهريّة من حيث لا يعلمون!

وهذا المثل والمثل الآخر أيضًا المعروف عن الظّاهريّة، يأتون إلى حديث: «لا يبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الرَّاكدِ»[1] فيقولون: المنهي عنه البول

(١) صحيح ابن ماجه (٢٧٩).

فإذًا لا يجوز أن تبول لكن الغائط لا يُنهى عنه! فهذا من أشهر الأمثلة عليهم في بيان أنّهم يرتكبون المتناقض حين لا يقبلون بدلالة الأَوْلَى، لا يأخذون بدلالة الأَوْلَى؛ فأنت تقولين: (الحائض مُنعت؛ من باب أولى النّفساء) مثلًا.

قال الشيخ:

(فأجاب الجمهور بأن المرأة لم تسأل عما تفعل في النسك وإنما تسأل ماذا تصنع عند الإحرام؟ فبيّن لها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كيف تصنع.)

فهذا كان جوابًا على ما قاله ابن حزم، رحمه الله.

ولاحظوا أدب الشّيخ، فإنّه ما تهجّم على ابن حزم؛ رغم أنّ جماعة الشّبر الأوّل، عندهم استعداد أن يتهجّموا على أكبر من ابن حزم من علماء المسلمين. فالله يعيذنا من شرّ أنفسنا ومن شرّ كلّ ذي شرّ.

قول جابر الآن:

(وقوله: « فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- فِي الْمَسْجِدِ » يعني مسجد ذي الحليفة. وقوله: « ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ » هو لقب ناقته)

ناقة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وهذه القصواء لها مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قصص وحكايات؛ وربّما كان من اللّطيف أن يُعْرَفَ حال هذه القصواء وتُذكر للكبار والصّغار؛ فإنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان يدافع عنها حين تُتّهم بشيء، فقد قال في حقّها حين قال

الصّحابة «خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ»، بمعنى: أنّها امتنعت عن المشي، ووقع منها ما يقع من النّوق والإبل من الحماقة والامتناع عن السّير؛ فقال لهم الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-:

«مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ»[1] يدافع عنها -صلّى الله عليه وسلّم-، بأنّ هذا ليس من أخلاقها، معناه: أنّه -صلّى الله عليه وسلّم- ما يقبل الظّلم حتّى على هذه الدّابة! قال -صلّى الله عليه وسلّم-:

«وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ» وقد استنبط أهل العلم أنّ الرّجل إذا كان ثقة، مشهود له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يُحمل كلامه، وألفاظ كتاباته على شرّ؛ بل ينبغي التّأويل الصّالح، وحسن الظّنّ به، وهذا الواجب على المسلم مع المسلم الّذي عُرِفَ بالخير.

فالشّاهد الآن: أنّه من أين استنبطوا هذه؟ من موقف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مع القصواء. يعني هذا الموقف كان في الحديبية، لمّا أرادوا الدّخول إلى مكّة، وسار النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، ثمّ وقفت القصواء، ولم تتحرّك «فَقَالُوا: خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم-: مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ) - هذه بالمناسبة -.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٢).

قال الشيخ:

(وله ناقة تسمى العضباء وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في أول زاد المعاد[1] ما يلقب من دوابه صلوات الله وسلامه عليه.)

انظروا إلى شديد العناية بحال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ حتّى يسجّل علماء الأمّة: دوابّه، ومواقفه منها، ويستنبطون من ذلك علومًا كثيرة، فصلّى الله على نبيّنا وسلّم تسليمًا كثيرًا.

قال الشّيخ -رحمه الله-:

(وقوله: «حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ» يعني علت به على البيداء. والبيداء جبل صغير طرف ذي الحليفة. وقوله: « نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ»).

قال الشّيخ:

(أي أنهم كثير وقد قدروا بنحو مائة ألف الذين حجوا مع رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يعني لم يبق من الصحابة -رضي الله عنهم- إلا أربعة وعشرون ألفا وإلا فكلهم حجوا معه لأنه أعلن عليه الصلاة والسلام للناس أنه سيحج فقدم الناس كلهم من أجل أن ينظروا إلى حج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ويقتدوا به.)

---

(١) ١/١٢٣.

ثمّ قال جابر:

«وَرَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ»

قال الشّيخ:

(المراد بالتأويل هنا التفسير فإن أعلم الخلق بمعاني كلام الله تعالى هو رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ولهذا قال العلماء -رحمهم الله-: يُرجع في التفسير إلى القرآن الكريم) يعني: يفسّرون القرآن بالقرآن (ثم إلى السنة ثم إلى أقوال الصحابة ثم إلى كلام التابعين الذين أخذوا عن الصحابة -رضي الله عنهم-.

وقوله:« فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ » أي رفع صوته بالتوحيد)

ما هو التّوحيد؟

(« لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ » رفع صوته بهذه الكلمات العظيمة التي سماها جابر -رضي الله عنه- توحيدًا لأنها تضمنت التوحيد والإخلاص. ولبيك كلمة إجابة والدليل على هذا) على أنّها كلمة إجابة (ما ورد في الصحيح أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «يا آدَمُ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ»[1]) فهي كلمة إجابة (وتحمل معنى الإقامة من قولهم ألبَّ بالمكان: أي أقام فيه فهي متضمنة للإجابة والإقامة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨).

الإجابة لله والإقامة على طاعته ولهذا فسرها بعضهم بقوله: لبيك أي أنا مجيب لك مقيم على طاعتك) قال الشّيخ: (وهذا تفسير جيد.) ووصل بعض أهل العلم في تفسير هذه الكلمة إلى سبعٍ أو تسعٍ من المعاني، كلّها تؤيّدها اللّغة؛ ومن ذلك أنّ (لبّيك) لا تُقال إلّا لمن تحبّ، ويقولون: (امرأة لبّة) يعني: محبّة لأبنائها؛ فعلى ذلك يكون المعنى: أنا مجيب لك، مقيم على طاعتك، محبّ لك، وهكذا، كلّما أُضيف معنى؛ زاد معنى التّلبية، فقد قالوا أيضًا أنّ لبّيك تأتي من معنى الانقياد، يُقال:

أخذ الرّجل بتلابيبه، بمعنى: أنّهم قادوه بتلابيبه؛ هذا الّذي يقول: (لبّيك)؛ يقول: (أنا مجيب إجابة المحبّ، مقيم على طاعتك، منقاد) وهكذا تُضاف المعاني في هذا النّداء بناء على فهم اللّغة.

قال الشّيخ:

(فإذا قال قائل: أين النداء من الله حتى يلبيه المحرم؟) لأنّ كلمة لبّيك؛ كلمة إجابة (قلنا: هو قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[1] أي أعلم الناس بالحج أو ناد فيهم بالحج و ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي: على أرجلهم).

قال الشّيخ:

(وليس المعنى ضد الإناث والدليل على أنهم على أرجلهم ما بعدها ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾) ﴿ضَامِرٍ﴾ المقصود: الدّابّة الّتي ضَمُرَتْ. (﴿يَأْتِينَ

(١) الحج: ٢٧.

مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.) وكونها أتت ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إنّما يكون هذا سببًا لضمورها.

قال الشّيخ:

(وهذه قاعدة مفيدة في التفسير (فإنه قد يعرف معنى الكلمة بما يقابلها). ومثلها قوله تعالى: -وهو أخفى من الآية التي معنا-) يعني: سيأتي بآية يمثّل عليها أنّه تعرف الكلمة ممّا يقابلها (﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾[1] فمعنى ثبات: متفرقون).

لكن قال الشّيخ: (مع أن ثبات يبعد جدًا أن يفهمها الإنسان بهذا المعنى لكن لما ذكر بعدها ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ علم أن المراد بالثبات المتفرقون.)

يعني: أصبحت الكلمتين متقابلتين، عرفنا الأولى من معرفتنا للثّانية؛ وهذا من الشّيخ كثيرًا ما يكون أثناء شرحه للقرآن؛ فإنّه يدرّب طلّابه على فهم المعاني من المتقابلات؛ وهذا منهج بديع يساعد على تصوّر مسألة مهمّة، وهي: أنّ العرب الّذين مُكّنوا من اللّغة، يعني أعطاهم الله اللّغة -الله يرزقهم العزّة بها- قد أُعطوا أهمّ أداة لفهم القرآن، وهي: اللّغة. فاللّهمّ بثّ في نفوسهم الاعتزاز بها، والفخر بها، بل وبثّ في نفوسهم إلّا يتكلّمون بسواها، ولا يتعلّمون سواها، يعني: من المؤلم جدًّا! جدًّا! أنّنا في الحجّ الآن نرى مسلمين من أقطار الأرض لهم لغتهم الخاصّة الّتي يتكلّمون بها، لكن حين يريدون أن يتفاهموا مع بعض وهم

(١) النساء: ٧١.

من جنسيّات مختلفة؛ يتكلّمون اللّغة الأجنبيّة! هذا مؤلم فوق ما تتصوّرون! لكن الله وحده المستعان، إليه الشّكوى!

قال:

(والتثنية في التلبية هل المقصود بها حقيقة التثنية أي: أجبتك مرتين أو المقصود بها مطلق التكثير؟ الجواب: المقصود بها الثاني لأن المعنى إجابة بعد إجابة وإقامة بعد إقامة فالمراد بها مطلق التكثير)

يعني: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» جاءت مرّتين. هل المقصود أن أستجيب مرّتين؟ لا، المقصود: التّكثير

(أي: مطلق العدد وليس المراد مرتين فقط. ولهذا قال النحويون: إنها ملحقة بالمثنى وليست مثنى حقيقة لأنه يراد بها الجمع والعدد الكثير.

ولماذا جاءت بالياء الدالة على أنها منصوبة؟ قالوا: لأنها مصدر لفعل محذوف وجوبًا لا يجمع بينه وبينها والتقدير ألببت إلبابين لك.) «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ» (ألببت يعني: أقمت بالمكان إلبابين. لكن حصل فيها حذف حرف الهمزة وصارت لبابين بعد حذف الهمزة.) حين حُذفت الهمزة ماذا بقي؟ إلبابين (ثم قيل: تحذف أيضًا الباء الثانية فنقول لبيك والياء علامة للإعراب.).

، إذَا فُهمت فالحمد لله، إذَا لم تُفهم، يعني: هذه مزيد بيان.

(وقوله: « اللَّهُمَّ » معناها: يا الله لكن حذفت ياء النداء وعوض عنها الميم وجعلت الميم أخيرًا ولم تكن في مكان الياء تبركًا بذكر اسم الله

ابتداءً وعوض عنها الميم لأن الميم أدل على الجمع ولهذا كانت الميم من علامات الجمع. فكأن الداعي جمع قلبه على ربه -عزّ وجلّ- لأنه يقول يا الله.)

، هذه أسهل من السّابقة: «اللَّهُمَّ» عبارة عن ماذا؟ يا الله! حذفوا ياء النّداء الّتي في البداية، وجعلوها ميمًا، ما وضعوها في البداية، ووضعوها في النهاية. (الله) آخر حرفها: الميم، أضافوا عليها الميم، فصارت: «اللَّهُمَّ». لماذا قدّموا (الله)؟ تبرّكًا. لماذا الميم؟ لأنّها أدلّ على الجمع.

ماذا في المعنى عند الدّاعي؟ معناها: عند الدّاعي أنّه جمع قلبه على ربّه -عزّ وجلّ-.

و(قوله: «لَبَّيْكَ» الثانية من باب التوكيد اللفظي) يعني: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ» فقد عرفنا التّثنية أنّها معناها الجمع والعدد الكثير.

أُكّد مرّة ثانية: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ» (ولم يتغير عن لفظ الأول لكن له معنى جديد فيكرر ويؤكد أنه مجيب لربه مقيم على طاعته: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك) تأكيد مرّة أخرى لفظي أنّه مقيم على طاعة الله (لأنك تجيب الله -عزّ وجلّ- وكلما أجبته ازددت إيمانًا به وشوقًا إليه فكان التكرير مقتضى الحكمة ولهذا ينبغي لك أن تستشعر وأنت تقول: (لبيك) نداء الله -عزّ وجلّ- لك وإجابتك إياه لا مجرد كلمات تقال.)

وهذه مسألة الله ينعم بها على عباده، الله الّذي ينعم على عباده بأن يشعروا أنّ ربّهم يناديهم، وأنّهم يجيبون سواء في صلاتهم: (حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح) أو في حجّهم ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

قال الشيخ:

(وقوله « لَا شَرِيكَ لَكَ » أي: لا شريك لك في كل شيء وليس في التلبية فقط لأنه أعم، أي: لا شريك لك في ملكك ولا شريك لك في ألوهيتك ولا شريك لك في أسمائك وصفاتك ولا شريك لك في كل ما يختص بك.)

فإذًا: هذا التّوكيد اللّفظي «لَبَّيْكَ» مرّة أخرى، أتى عليها معنى جديد: (أنّي لا أشرك معك أحدًا في إجابة النّداء، ولا أعتقد أنّ مثلك أحد، ولا أحد ندّ لك).

قال:

(ومنها إجابتي هذه الإجابة فأنا مخلص لك فيها، ما حججت رياءً ولا سمعة ولا للمال ولا لغير ذلك إنما حججت لك ولبَّيت لك فقط. وقوله: « لَا شَرِيكَ لَكَ » إعرابها: لا نافية للجنس) يعني: لجنس كلّ الشّرك (وشريك: اسمها، ولك خبرها، والنافية للجنس أعم من النافية لمطلق النفي لأن النافية للجنس) حين تسمعين لا النّافية للجنس، يعني: لجنس هذا الّذي يأتي في اسمها، في اسم لا.

يقول: (لأن النافية للجنس تنفي أي شيء من هذا بخلاف ما إذا قلت: لا رجلٌ في البيت. بالرفع فهذه ليست نافية للجنس بل هذه لمطلق النفي.) يعني: ممكن تكون (لا رجل بالبيت) يقصد به الإهانة؛ أنّه هناك أشباه الرّجال، فليس هناك رجال في البيت، لكن لو كانت لا النّافية للجنس؛ سيكون جنس الرّجال غير موجود.

والشّيخ يأتي بمثال آخر - يعني أكثر لطافة - يقول:

(ولهذا يجوز أن تقول لا رجلٌ في البيت بل رجلان، لكن لو قلت: لا رجلَ في البيت بل رجلان. صاح عليك العالمون بالنحو وقالوا: هذا غلط لا يصح أن تقول: لا رجلَ في البيت بل رجلان. فتنفي الجنس أولًا ثم تعود وتثبت ولكن إن شئت فقل: لا رجلَ في البيت بل أنثى.)

نكون بهذا انتهينا من جلستنا هذه.

أسأل الله أن يرزقنا حجًّا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، وأن يتقبّل منّا ومن الحجّاج، وأن يجعل حجّهم يسيرًا، وأن يحفظهم من كلّ مكروه، ومن كيد الأعداء، ومن يتربّص بأهل الباطل.

أسأل الله أن يحفظ الحجّاج والمعتمرين في البرّ والبحر والجوّ، ويردّهم إلى أهليهم غانمين الفضل، سالمين من كلّ سوء، اللّهمّ آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء الثّاني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثّاني من سلسلة لقاءات في "شرح حديث جابر في حجّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-".

وكنّا قد وصلنا في كلام الشّيخ -رحمه الله- الكلام الماتع، وصلنا للكلام حول التّلبية ومعناها، وذكر وراء ذلك مجموعة مسائل، منها:

هل يمكن أن نضيف على التّلبية شيء؟ يعني غير هذه التّلبية المعروفة عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؟ وأجاب: أنّه لا بأس، وأنّ ابن عمر كان يقول: «لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيرُ في يَدَيْكَ، لَبَّيْكَ والرَّغْباءُ إليكَ والعملُ.»[1].

هل يمكن أن نبدّل التّلبية بالتّكبير والتّهليل؟ التّنويع بين هذه الأذكار كلّها مقبول.

ثمّ وصلنا إلى جملة جديدة في الحديث:

(ثم قال جابر -رضي الله عنه-: «حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ» يعني الكعبة. وقوله: «اسْتَلَمَ الرُّكْنَ» أي الحجر الأسود. وأطلق عليه اسم الركن لأنه في الركن) يعني: لا لأنّ هذا موقعه (والاستلام قال العلماء رحمهم الله أن

(١) أخرجه مسلم (١١٨٤).

يمسحه بيده وليس أن يضع يده عليه) إذًا: هذا الاستلام الشّرعي (لأن الوضع ليس فيه استلام بل لابد من المسح، والمسح يكون باليد اليمنى) فهمنا بهذا أنّ المستلم لا يضع يده فقط على الحجر الأسود؛ وإنّما يمسح عليه، والمسح يكون باليد اليمنى (لأن اليد اليمنى تقدم للإكرام والتعظيم.) فيتناول الإنسان بيده اليمنى كلّ شيء مكرّم، وبيده اليسرى يزيل الأذى، وهذه قاعدة مريحة جدًّا خصوصًا في تربية الأبناء، أن نكرّم اليمين، وأن ننبّههم على أنّ اليمين يُستعمل بها كلّ خير، واليسار يُزال بها كلّ شرّ.

يسأل الشّيخ سؤالًا: (وهل يقبله؟ نقول: نعم، لأنه ثبت عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه كان يقبله)[1] هذا حجر، وسيأتي من يتّهمه، يعني من يكون في قلبه زيغ يريد أن يتّهم المسلمين بالوثنيّة، يقول: (ها أنتم وثنيّون! تدورون حول حجر! وتقبّلون حجرا!) فينبّهنا الشّيخ لذلك:

قال: (لكن يقبله محبةً لله -عزّ وجلّ- وتعظيمًا له لا محبةً للحجر لكونه حجرًا ولا يتبرك به أيضًا كما يصنعه بعض الجهال فيمسح يده بالحجر الأسود ثم يمسح بها بدنه أو يمسح صبيانه الصغار تبركًا به) وأحيانا يمسح بعض أجزاء بدنه الّتي تؤلمه! يعني مريض بمرض معيّن فيمسح على الحجر الأسود ويمسح على هذا الجزء! قال: (فإن هذا من البدع.) فكلّ عمل من الأعمال يقابله عقيدة:

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٠٥).

المسح على الحجر الأسود وتقبيله: كلّ هذا محبّة لله -عزّ وجلّ- وتعظيمًا له؛ لأنّه هو الّذي أمرنا بذلك.

وانظروا إلى مكانة صحابة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وفهمهم، وعلمهم.

قال الشّيخ:

(ولهذا لما قبّل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الحجر الأسود قال: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يقبلك ما قبلتك»[1]) وهذا البخاري أخرجه البخاري في الحجّ، معنى ذلك: أنّ عمر -رضي الله عنه- وهو الملهَم، قد خشي أن يأتي من يتكلّم هذا الكلام، أو يظنّ هذا الظّنّ؛ فخاطب الحجر مخاطبة من يفهم، ويريد بذلك العقلاء، أن يفهموا وينقلوا عنه هذا.

قال الشّيخ:

(فأفاد -رضي الله عنه- بهذا أنه مجرد تعبد واتباع للرسول -صلّى الله عليه وسلّم-)

واعتبر هذا بمثل أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم؛ فإنّهم سجدوا امتثالا لأمر الله. ونأتي نقول للنّاس: يُحرّم عليكم أن تسجدوا لشجر، أو حجر، أو بشر؛ فالسّجود خاصّ بالله. فيأتي أحد يقول: (فلماذا عوقب

(١) أخرجه البخاري (١٦٠٥).

الشّيطان بالطّرد حين لم يقبل السّجود لغير الله؟) نقول: مدار الأمر حول أمر الله؛ إن أمرنا الله فعلنا ما يأمرنا به، نحن متعبّدون.

ولذلك لا تنسوا أبدًا: أنّ سورة البقرة، هذه السّورة العظيمة فيها آيات كريمات تبيّن أصل دين الإسلام، وتبيّن الفرق بين أهل الإسلام وغيرهم، فها هم بني إسرائيل يؤمرون بذبح بقرة، فلا يمتثلون! وفي شأن مهمّ في حياتهم، سيجدون أثره مباشرة في أمر احتاروا فيه، فلا يمتثلون للأمر وهم أصحاب الحاجة!

ويؤمر أهل الإسلام بتحوّل القبلة، وانتقالهم من الصّلاة إلى بيت المقدس، إلى الكعبة الشّريفة -زادها الله شرفًا، وحرسها، وحماها من أعدائها، وحرّر بيت المقدس من أحفاد القردة والخنازير- يُؤمرون بهذا الأمر العظيم، الّذي فيه شأن يتّصل بالدّين، ويعرفون أنّه سيتسلّط بسببه السّفهاء، فيقولون على المسلمين أقوالًا ويطعنون فيهم طعونًا، ويخرج المنافقون فيجدون فرصة لاتّهام الدّين؛ ومع ذلك حين تسمعين الأخبار في السّيرة عنهم، وترين مقدار طاعتهم سبحان الله! حتّى أنّ مسجد القبلتين فيما يُحكى عنه: أنّه مسجد بلغ أهله خبر تحوّل القبلة وهم في صلاة العصر؛ فكانوا مبتدئين الصّلاة على بيت القدس، يعني إلى الشّمال، فجاءهم الخبر فتحوّلوا إلى الجنوب جهة الكعبة؛ فهذا تحوّل تامّ من الشّمال إلى الجنوب، بدؤوا الصّلاة شمالًا ثمّ حين أُخبروا بالخبر تحوّلوا إلى جهة الجنوب وهم في صلاتهم، فما أعظم هذا الامتثال والطّاعة! فلو حاجّك محاجّ يريد الحقّ فبيّن له أنّنا نمتثل أمر الله،

نطوف حول الكعبة؟ نطوف حول الكعبة. سبعًا؟ سبعًا. نستلم الحجر؟ نستلم الحجر. نقبّله إن استطعنا؟ نقبّله. لماذا؟ لأنّ الله أمرنا.

وقد سمعت هذه الأيّام، ورأيت في هذه الأيّام، مَن معه من الإيمان ما يجعله حالما يسأل عن الحكم الشّرعي؛ فيقول: هل أمر الله بكذا؟ فنأتي نتلطّف معه -لأنّه أمر نظنّه صعبًا عليه- فنجده يجيب: (أنا سأتمر ولا أريد علّة، ولا أريد سببًا، فقط بيّني لي هل أمر الله؟ إن أمر الله فعلت، وأمر الله على الرّأس والعين)، وهذا الحقيقة شهدته بنفسي، وسمعته من ثقات؛ ففي هذا العصر -الحمد لله- هناك من المؤمنين المستسلمين الطّائعين، الّذين لا يطلبون علّة لشيء؛ فإن كان صادقًا؟ بيّن له الأمر.

ألم يأمرنا الله؟ ومادام أمرنا الله، نحن نقول: (سمعنا وأطعنا)، وليس إلهنا العقل! وإنّما إلهنا الله الّذي سلّمنا لعظمته وجلاله، ولبّينا طاعة له؛ فالعقل موجود لاستقبال الأمر وتنفيذه، وليس موجودًا للاعتراض على الأمر وردّه!

وهذا الشّأن يفقهه ويقع في قلبه من أراد الحقّ، أمّا من لم يرد الحقّ فسنجيبه نفس الجواب مع عدم الاهتمام ببيان مسألة الطّاعة وكيف أنّ هذا موقف الصّحابة؟ أو كيف يجب أن نكون نحن سمعنا وأطعنا، ليس مهمّا؛ نقول: (نحن قوم إن أمرنا فعلنا، نحن مسؤولون عن أنفسنا لا يضرّنا من ضلّ إذَا اهتدينا) نسأل الله أن يهدينا ويرشدنا، ويهدي شباب المسلمين، وينزع عنهم الكبر والتّعالي والفرح بما عندهم من علوم،

خابت والله وخسرت هذه العلوم الّتي تبعد عن باب الله، وتجعل العبد بدلًا من أن يزداد طاعة يزداد عصيانًا ونعوذ بالله من الخذلان!

قال الشّيخ رحمه الله:

(إذًا فتقبيلنا للحجر الأسود هو محبةٌ لله -عزّ وجلّ- وتعظيمٌ له ومحبة للقرب منه سبحانه وتعالى.)

هذا هو المقصود الآن: أنّنا نحن قوم مقصدنا الأساس أن يرضى الله عنّا، فتقبيلنا الحجر من هذا الباب: من باب طلب رضا الله -عزّ وجلّ-؛ فإذَا فهمنا هذا استطعنا أن نفهم حديثًا عظيمًا، وهو الحديث الّذي فيه خبر عن يوم القيامة، أنّ الله -عزّ وجلّ- يتجلّى:

«ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ يَقُولُ: سَلُونِي أُعْطِكُمْ قَالَ: فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَى، فَيَقُولُ: رِضَائِي أُحِلُّكُمْ دَارِي، وَأُنِيلُكُمْ كَرَاسِيَّ، فَسَلُونِي أُعْطِكُمْ قَالَ: فَيَسْأَلُونَهُ قَالَ: فَيُشْهِدُهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَا يَخْطِرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[1]، فمعنى ذلك: أنّ هذه الغاية إذَا قامت في نفس الإنسان؛ ربح الخير العظيم على الأعمال اليسيرة؛ فإذَا طلب الرّضا تتبّع الرّضا في أيسر الأمور، تصوّروا: دخولنا الحرم وخروجنا منه، الدّعاء الّذي نقوله، التّيمّن حال الدّخول ندخل بقدمنا اليمنى. أمور يسيرة لكن متّبع الرّضا، طالب الرّضا مركّز؛ لأنّ هذه غاية النّاس أن يرضى عنهم ربّ

(١) مصنّف بن أبي شيبة (٥٤٣٧).

العالمين؛ فما يعلمون من أسباب رضاه يطلبونها، ولا يجعلون للشّيطان عليهم سبيلًا.

قال الشّيخ:

(فإن شق الاستلام والتقبيل فإنه يستلمه بيده ويقبل يده[1]. وهذا بعد استلامه ومسحه) يعني: يستلمه، يمسحه، وبعد ذلك يأخذ يده ويقبّلها. يقول: (وهذا بعد استلامه ومسحه لا أنه يقبل يده بدون مسح وبدون استلام) إذًا: هذه درجتان:

١) الدّرجة الأولى: أن يستلم الحجر، يعني: يمسح عليه، ويقبّل الحجر مباشرة.

٢) الدّرجة الثّانية: أو أن يستلم الحجر يمسح عليه، ويقبّل يده.

ما استطاع لا هذا، ولا هذا، (فإن شق اللمس أشار إليه[2]. وإذا أشار إليه فإنه لا يقبل يده.)

قال الشّيخ:

(كل هذه الصفات وردت عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهي مرتبة حسب الأسهل. فأعلاها استلام اليد وتقبيل الحجر ثم استلام باليد مع تقبيلها، ثم استلام بعصًا ونحوه مع تقبيله إن لم يكن فيه أذية)

---

(١) لما روى نافع قال: " رأيت ابن عمر استلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يفعله" أخرجه مسلم (٣٠٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٦١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: " طاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على بعير كلما أتى على الركن أشار إليه بشيء كان عنده ويكبر " .

يعني: لو كان راكبًا، أو كان من بعيد ولا يستطيع؛ فبعصا مثلا: اليوم العكّاز وما يُستند عليه؛ يمكن أن يضعه عند الحجر ويقبّله إذَا لم يكن فيه أذيّة، لا أذيّة في إدخال العصا نفسها، ولا أذيّة في التّقبيل (والسنة إنما وردت في هذا للراكب فيما نعلم ثم إشارة.)

إذًا: الّذي بعصا هذا سيكون الرّاكب (فالمراتب صارت أربعًا تفعل أولًا فأول بلا أذية ولا مشقة.)

هذا الشّرط غاية في الأهمّيّة: أنّه بلا أذيّة ولا مشقّة؛ اليوم أظنّ أنّنا نأخذ -خصوصًا النّساء- تأخذن الأمر من نهايته وما عندهم إلّا الإشارة، يعني لا حتّى حين نكون في أحسن أحوال الفراغ، مثل: منتصف شهر شوّال، والأسبوع الثّاني من شهر محرّم؛ حتّى هذه الأيّام مع الفراغ، لكن هناك فيه زحام على الحجر، نسأل الله أن يزيد البيت تشريفًا وتعظيمًا، ويزيد عمّاره يعمّروه بالطّاعة والإيمان ويزيد الأمن والأمان لهذا البيت ولمن حوله، فالحمد لله ربّ العالمين.

على كلّ حال تُنصح المرأة حتّى في هذه الأيّام أنّها في محلّ طوافها تبتعد عن المطاف عن الصّحن، يعني: صعوبة شديدة وزحام شديد، وفتنة للرّجال، وأذيّة -فالله المستعان- مطاف الدّور الأوّل، والدّور الثّاني، والسّطح؛ كلّها خير وبركة، فأوّلًا: المكان: أحسن شيء تترك الصّحن.

وبالنّسبة للزّمان أيضًا: عليها أن تختار الزّمان المناسب، هذا إذَا كان بيدها اختيار الزّمان، لكن لو ما كان بيدها اختيار الزّمان؛ فعليها تجنّب الصّحن في مثل هذه الأيّام والله يعيننا.

قال الشّيخ:

(مسألة: كيفية الإشارة؟ هل الإشارة كما يفعل العامة أن تشير إليه كأنما تشير في الصلاة أي: ترفع اليدين قائلًا: (الله أكبر؟) الجواب: لا بل الإشارة باليد اليمنى. كما أن المسح يكون باليد اليمنى. ولكن هل تشير وأنت ماشٍ والحجر على يسارك، أم تستقبله؟)

لأنّ النّاس اليوم مع الزّحام؛ لو استقبلت الحجر ستزاحم من ورائك، فنرى ما هو الصّواب بعض النّاس يستسهلون المسألة ويمرّون، يكبّرون ويصبح الحجر على يسارهم ولا يستقبلونه بوجوههم، على فهمهم أنّ الاستقبال يسبّب الزّحام، نرى ماذا يقول؟

(الجواب: روي عن عمر -رضي الله عنه- أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال له: « إنك رجل قوي فلا تزاحم فتؤذي الضعيف إن وجدت فرجة فاستلم وإلا فاستقبله وهلل وكبر»[1]

قال: « وإلا فاستقبله » فالظاهر: أنه عند الإشارة يستقبله ولأن هذه الإشارة تقوم مقام الاستلام والتقبيل والاستلام والتقبيل) يعني: وقتما نستلم ونقبّل، أو مجرّد استلامنا (يكون الإنسان مستقبلًا له بالضرورة)

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٨/١.

مستقبلا ماذا؟ الحجر (لكن إن شق أيضًا مع كثرة الزحام فلا حرج أن يشير وهو ماشٍ.) فإذًا: لا حرج. لكن الأصل أنّنا نلتفت، ونستقبل الحجر، ونشير بيدنا اليمنى.

(ويقول عند محاذاته ما ورد عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم-) يعني: هذا في أوّل شوط (ومنه عند ابتداء الطواف « بسم الله والله أكبر »[1] «اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعًا لسنة نبيك محمد -صلّى الله عليه وسلّم-»[2] كما كان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول ذلك.) معنى ذلك: أنّ هذه سنّة من ابن عمر.

(أما في الأشواط الأخرى فإنه يكبر كلما حاذى الحجر اقتداءً برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-)

يعني: الأولى هي الّتي فيها استلام وتقبيل، ما بعدها كلّما حاذى الحجر فإنّه يكبّر.

(إذًا الحجر الأسود له سنتان: سنة فعلية وسنة قولية):

- نرفع يدنا، ونشير بيدنا اليمنى إلى الحجر: هذه سنّة فعليّة.
- السّنّة القوليّة: نقول: «بسم الله والله أكبر» في أوّل شوط «اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعًا لسنة نبيك محمد -صلّى الله عليه وسلّم-» هذا الحديث رفعه للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لا يصحّ؛ وإنّما هو موقوف - والله أعلم - على ابن عمر.

---

(١) أخرجه البيهقي ٧٩/٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا استلم الركن قال: " بسم الله والله أكبر" .

(٢) أخرجه البيهقي ٧٩/٥ وابن أبي شيبة ١٠٥/٤ وعبد الرزاق (٨٨٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ولذَا حين يأتي أحدهم يقول: (هذا حديث ضعيف لا تستعملوه.) هنا نحن انتقلنا من كوننا نقول هذا القول اتّباعًا للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، إلى اتّباعًا لما بعده من الصّحابة الكرام؛ لأنّنا مأمورون بمتابعة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، والصّحب الكرام، وما نُقل عنهم، مادام أنّ الّذي نُقل عنهم ثابت، ولا يُخالف نصوصًا صحيحة؛ والأمر في مسألة الدّعاء واسع.

قال الشّيخ:

(وأما الركن اليماني فيستلمه بلا تقبيل ولا تكبير)

يستلمه، يعني: يذهب إليه ويمسح، لكن ما يقبّله، ولا يكبّر حين يصل. وإذَا ما استطاع أن يصل إليه؟ لا يشير حتّى. (ولا إشارة إليه عند التعذر. لأن ذلك لم يرد عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم-.) الّذي ورد إنّما كان في الحجر الأسود.

(والقاعدة الفقهية الأصولية الشرعية: (أن كل ما وجد سببه في عهد الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ولم يفعله فالسنة تركه).)

يعني: هذه قاعدة فيما نسمّيه: السّنّة التّركيّة، معناها: أنّه من السّنّة ترك هذا الشّيء. متى؟ لأنّه قد يأتي أحد يقول لك: (طباعة المصاحف ما فعلها النّبيّ صلّى الله عليه وسلم تركها، فنحن سنترك ذلك) نقول: القاعدة الفقهيّة تقول: (أن كل ما وجد سببه في عهد الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ولم يفعله فالسنة تركه) يعني: كان هناك سبب، مثلًا

نفترض: كانت هناك مطابع والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ما طبع المصحف وهو متمكّن من هذا الفعل؛ فالسّنة تركه، لكن هي نفسها هذه المطابع لم تكن موجودة. ممكن تكون بدعة؟ نقول: هي لم تكن موجودة، فليس ترك الطّباعة سنّة؛ ثمّ إنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان يأمر الكاتبين أن يكتبوا، ثمّ أتى النّسخ، يعني ينسخون المصحف؛ ثمّ أرسلوه للأمصار بعد ذلك في زمن عمر، وعثمان -رضي الله عنهم- جميعًا.

فالطّباعة نوع من النّسخ؛ فلا تؤخذ بالسنّة التّركيّة، بل هي لا يوجد دليل عليها من السّنّة الفعليّة.

لكن الآن الحجر الأسود موجود، والرّكن اليماني موجود؛ والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أتى إلى الحجر الأسود واستلمه، وقبّله، وأتى إلى الرّكن اليماني فاستلمه فقط دون أن يقبّله، ودون أن يكبّر عنده؛ فعرفنا: أنّ تركه لهذه الأمور تُعتبر سنّة تركيّة، يعني: من السّنة ترك هذه الأمور.

(مسألة: وهل يستلمهما في آخر شوط؟)

يعني: هل يستلم الرّكن اليماني والحجر الأسود؟

(الجواب: يستلم الركن اليماني ولا يستلم الحجر الأسود لأنه إذا مر بالركن اليماني مر وهو في طوافه. وإذا انتهى إلى الحجر الأسود) في الشّوط السّابع (انتهى طوافه.) فالحجر الأسود لابتداء الطّواف وليس

لانتهاء الطّواف (ولهذا لا يستلم الحجر الأسود ولا يكبر أيضًا في آخر شوط. لأن التكبير تابع للاستلام ولا استلام الآن والتكبير في أول الشوط، وليس في آخر الشوط.)

(مسألة: ماذا يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود؟ الجواب: يقول « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ».)

يعني: هذا مأثور عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- (قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (والمناسبة في ذلك أن هذا الجانب من الكعبة هو آخر الشوط وكان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يختم دعاءه غالبًا بهذا الدعاء).)

يعني: ابن تيمية يرى أنّ هذا على عادة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، أنّه في آخر الدّعاء يقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

قال الشّيخ:

(وأما الزيادة «وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار» فهذه لم ترد عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ولا ينبغي للإنسان أن يتخذها تعبدًا لله لكن لو دعا بها) مرّة (لم ينكر عليه لأن هذا محل دعاء.) وهذه دعوة، لكن لا يتّخذها على أساس أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قالها (ولكن كونه يجعله مربوطًا بهذه الجملة (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) غير صحيح وروي عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه كان

يقول أيضًا: «اللهم إني أسألك العفو والعافية» ولكنه حديث ضعيف[1].)

نكون بهذا انتهينا من استلام الحجر الأسود.

نكتفي بهذا في لقائنا نسأل الله أن يبارك لنا في الأوقات وينفعنا بما نقرأ، ونسمع، هو وليّ ذلك والقادر عليه.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٩٥٧).

اللقاء الثّالث

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا في هذه اللّقاءات المباركة، في هذه العشر المباركة، الّتي أحبّ الأعمال فيها إلى الله: الذّكر، وهذه العشر بنفسها الأعمال الصّالحات فيها أحبّ إلى الله من الأعمال الصّالحات في كلّ العام، فهي منّة وفضل من ربّ العالمين، فهل من مشمّر لهذا الفضل؟ وهل من مقبل على هذه النّعمة؟

بدأنا في هذا اليوم من هذه العشر المباركة، في قراءة رسالة "شرح حديث جابر في حجّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-" للشّيخ ابن عثيمين -رحمه الله- وهذه الرّسالة فيها كثير من المسائل المهمّة فهمها في الحجّ، وأيضا فهمها في الفقه وسنجد - إن شاء الله - فوائد كثيرة، فلا تتصوّروا أنّ هذه الفوائد حصرًا على الحجّاج؛ بل -إن شاء الله- هي فوائد للحاجّ ولغير الحاجّ. وهذا علم من الواجب علينا معرفته.

وصلنا في كلام الشّيخ لمعنى التّلبية، وفهمنا كلمة: (لبّيك) وأنّها تحمل معاني كثيرة، من أهمّ المعاني الّتي يجب أن تتصدّر في ذهننا: أنّها إجابة لدعاء، إجابة لنداء؛ فالله نادى عباده، ودعاهم إلى الحجّ على لسان

إبراهيم كما في سورة الحجّ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾[1] فالنّاس سمعوا هذا النّداء على ألسنة أنبيائهم، فاستجابوا له. فنحن في الحجّ؛ سواء كان عزيمة، أو وقع، يعني: سواء عزم الإنسان على الحجّ ورغب فيه، أو وقع فيه الحجّ ودخل في نسكه، فهو في هذه الحال يكون ممّن استجاب للنّداء فيقول: (لبّيك، سمعت النّداء، وأحبّ أن أستجيب للنّداء، واستجابتي للنّداء إنّما هي من باب الطّاعة والانقياد؛ فأنا مقيم على طاعتك، منقاد لك) وهذه المعاني مأخوذة من اللّغة لأنّ (لبّيك) لزوم الطّاعة، و(لبّيك) كما هو متبيّن: إجابة بعد إجابة، و(لبّيك) أيضًا تكون بمعنى: الانقياد، وتكون بمعنى: اتّجاهي إليك، وقصدي، وإقبالي على أمرك، مأخوذة من قولهم: داري تلبّ داره، يعني: تواجهه. ومأخوذ من المحبّة؛ لأنّ العرب تقول: امرأة لَبَّةٌ، يعني: تحبّ أبناءها. فهذه معانٍ كثيرة، وكلّها مبنيّة على المعنى في اللّغة.

وهذه الحقيقة أنّ الإنسان في الاستعمال العامّ، يرى أنّ كلمة: (لبّيك) لا تُقال إلّا للمحبوب، ولا تُقال إلّا والإنسان عاقد عزمه على أن يجيب ولا تُقال إلّا وهو يريد أن يسرع، ولا تُقال والإنسان في حال ليس مقبلا بكلّيّته على من يكلّم؛ بل هي كلمة تدلّ على المعاني الّتي مرّت معنا في واقع الاستعمال، هذا طبعًا للنّاس الّذين يستعملونها؛ يكون الأمر واضحًا جدًّا بالنّسبة لهم، لكن قليل في العالم الإسلامي استعمال هذه الكلمة؛ فمن أجل ذلك لابدّ من التّأكيد على معناها المنطلق من اللّغة.

---

(١) الحج: ٢٧.

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ»[1] كلمة: (لبّيك) حصل فيها تثنية مرّتين، كما ذكر الشّيخ. ما هو المقصود هل يعني: سأجيبك مرّتين؟ أم المقصود كثيرًا؟ المقصود: كثيرًا.

ثمّ أتت: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» أيضًا هذه جملة جديدة فيها توكيد لفظي؛ والحكمة من تكرار الجملة: زيادة الشّوق، وزيادة الإيمان، وزيادة إظهار هذه الأمور من النّفس.

والمشكلة: أنّه حين تختفي التّلبية عند الحجّاج؛ يُفهم من ذلك شؤون يصعب التّعبير عنها، يعني: هل أنتم أتيتم ولا يوجد في قلوبكم شوقًا لربّ العالمين؟! هل أتيتم وأنتم لستم مجيبون للنّداء؟! ما الّذي أتى بكم؟! أليس اتّباعًا لأمر الله وإظهارًا للانقياد لله؟! فما بكم في غاية البرود لا تجيبون نداء الله بصورة ظاهرة فيها شوق؟! الصّحابة ما وصلوا مكّة إلّا وقد بُحّت أصواتهم من الاستجابة لله! من قولهم: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ»! فالله المستعان!

المقصد الآن: أنّ هذه التّلبية فيها أيضًا إظهار للتّوحيد؛ لأنّ جابر -رضي الله عنه- قال: «فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ» فأصبحت هذه الكلمة دالّة على التّوحيد خصوصًا أنّنا نقول فيها: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» فظاهر الأمر: ظهور التّوحيد في التّلبية. (اللّهمّ) كما ظهر من كلام الشّيخ، بمعنى يا الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

نبدأ الآن في الكلام الجديد:

(وقوله: «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ» يقال: بكسر همزة إنّ ورويت بالفتح.) «أنّ»، «أنّ الحمد لك» تصبح جملة تقريريّة، وإذا كانت بالفتح، يقول: (فعلى رواية فتح الهمزة «أنّ الحمد لك» تكون الجملة تعليلية) بمعنى: (لبيك لأن الحمد لك) «أنّ» هنا تعليليّة. ما علّة التّلبية؟ لأنّ الحمد لك.

(فصارت التلبية مقيدة بهذه العلة أي: بسببها والتقدير: لبيك لأن الحمد لك.) هذا لو فتحنا همزة: «إِنَّ» وأصبحت: أنّ الحمد لك (أما على رواية الكسر: «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ») تصبح الجملة (فالجملة استئنافية) يعني: جملة جديدة تقريريّة.

(وتكون التلبية غير مقيدة بالعلة بل تكون تلبية مطلقة بكل حال، ولهذا قالوا: إن رواية الكسر أعم وأشمل فتكون أولى أي: أن تقول: إن الحمد والنعمة لك، ولا تقل: أن الحمد والنعمة لك، ولو قلت ذلك لكان جائزًا.).

إذًا: ما هو الأولى؟ أن نقول: (إنّ الحمد لك) جملة جديد استئنافيّة، يعني تصبح:

- (لبّيك اللّهم لبّيك) هذه الجملة الأولى.
- (لبّيك لا شريك لك، لبّيك) هذه الجملة الثّانية.

بين الأولى والثّانية هناك تكرار لفظي لزيادة بيان الشّوق والمحبّة. ثمّ (إنّ الحمد والنّعمة لك) أيضًا هذه جملة جديدة فيها تقرير ما سيأتي بيانه، ولو قالها القائل: (أنّ الحمد والنّعمة لك) سيكون هذا تعليل لما قبلها؛ أنّ تلبيتي بسبب أنّ الحمد والنّعمة لك، لأنّ الحمد والنّعمة لك.

قال الشّيخ رحمه الله:

(والحمد والمدح يتفقان في الاشتقاق أي في الحروف دون الترتيب (ح-م - د)موجودة في الكلمتين فهل الحمد هو المدح أو بينهما فرق؟)

وهذه الطّريقة في التّعليم من ألطف الطّرق؛ حيث أنّها تثير الذّهن أوّلًا للسّؤال، ثمّ تلحقه بالإجابة؛ تثير الذّهن لأجل أن يفكّر: (مدح) و (حمد) مثل بعضها في الحروف، فهل هما متساويتان؟ قال:

(الجواب: الصحيح أن بينهما فرقًا عظيمًا لأن الحمد مبني على المحبة والتعظيم. والمدح لا يستلزم ذلك فقد يبنى على ذلك وقد لا يبنى)

الحمد لا يكون إلّا بمحبّة وتعظيم.

وقد مرّ معنا في "لقاءات العشر" الكلام عن الحمد وبيانه؛ فالإنسان يكون حامدًا لربّه لأنّه يعتقد أنّ ربّه كامل الصّفات؛ أمّا في المدح فالأمر لا يستلزم ذلك، لا يستلزم أن يعتقد أنّ الممدوح كامل الصّفات، فقد يُمدح الرّجل ولا محبّة له في القلب ولا تعظيم، قال الشّيخ:

(والمدح لا يستلزم ذلك فقد يبنى على ذلك وقد لا يبنى وقد أمدح رجلًا لا محبة له في قلبي ولا تعظيم ولكن رغبة في نواله فيما يعطيني)

يعني: كما يفعل الشّعراء (مع أن قلبي لا يحبه ولا يعظمه.) إذًا: الشّيخ يبيّن أنّ الفرق في الاعتقاد القلبي، ربّما اتّفقت الكلمات وكانت تشبه بعضها، لكن الفرق كبير؛ فإنّ الحامد يحبّ ويعظّم المحمود، لكن المادح لا يُشترط هذا منه؛ فقد يقع المدح لكفاية الشّرّ، أو يقع المدح للنّوال، كما ذكر الشّيخ في المثال.

ننتقل إلى الجملة التّالية، قال الشّيخ: (أما الحمد فإنه لا بد أن يكون مبنيًا على المحبة والتعظيم ولهذا نقول في تعريف الحمد: هو وصف المحمود بالكمال محبةً وتعظيمًا):

- نصفه بالكمال لأنّنا نعتقد في قلوبنا أنّه كامل، نعظّمه.
- ونصفه بالكمال الّذي يوقع في نفوسنا محبّته؛ لأنّ النّفس قد فُطرت على محبّة الكامل، وعلى تعظيم العظيم.

فيحصل بذلك الحمد.

ويأتي هنا التّوحيد، قال الشّيخ:

(ولا يمكن لأحد أن يستحق هذا الحمد على وجه الكمال إلا الله -عزّ وجلّ-.)

يعني مَن الّذي يستحقّ الحمد؟ وقد مرّ معنا أنّ (ال) للاستغراق، استغراق جميع أنواع المحامد؛ فكلّ الحمد حقّ لله؛ فهذا لا يستحقّه إلّا الله.

الآن سيناقش الشّيخ تعريفًا للحمد ذكره بعض أهل العلم:

(وقول بعضهم: الحمد هو الثناء بالجميل الاختياري، أي: أن يثني على المحمود بالجميل الاختياري.) يعني: (ويفعله اختيارًا من نفسه، تعريف غير صحيح) يعني: يقول أنّ الحمد ثناء بالجميل، والإنسان اختاره بنفسه، يعني: مقتنع به.

قال الشّيخ: هذا المعنى

(غير صحيح، يبطله الحديث الصحيح: «أن الله قال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال: أثنى عليَّ عبدي»[1] فجعل الله تعالى الثناء غير الحمد)

فحين يقولون إنّ الحمد هو الثّناء؛ خالفوا النّصّ. ما الثّناء إذًا؟ يعني: ما معنى «أثنى عليَّ عبدي»؟ قال: (لأن الثناء تكرار الصفات الحميدة) إذًا معنى ذلك: أنّ التّعريف الصّحيح للحمد كما تبيّن لنا هو: ذكر صفات المحمود محبّة وتعظيمًا؛ فالحامد يقع في قلبه تعظيم المحمود.

قال الشيخ:

(وأل في الحمد للاستغراق، أي: جميع أنواع المحامد لله وحده، المحامد على جلب النفع وعلى دفع الضرر، وعلى حصول الخير الخاص

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥).

والعام، كلها لله على الكمال كله.) كلّ المحامد لله، والعبد يعتقد كمال الله، وكمال صفاته (وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد»[1] بحثًا مستفيضًا حول الفروق بين (المدح - والحمد) وكلمات أخرى في اللغة العربية تخفى على كثير من الناس، وقال كان شيخنا- ابن تيمية - إذا تكلم في هذا أتى بالعجب العجاب ولكنه كما قيل:

تألق البرق نجديًا فقلت له.... إليك عني فإني عنك مشغول

أي أن شيخ الإسلام رحمه الله مشغول بما هو أهم من البحث في كلمة في اللغة العربية، وأسرار اللغة العربية.)

طبعا كان مشغولًا -رحمه الله- ابن تيمية، في الذّبّ عن عقيدة أهل السّنّة والجماعة؛ ولذَا عُرف في سيرته، أنّه لم يتزوّج، ومن ثَمَّ طبعًا ليس عنده أبناء، وكان هذا الأمر لا يشغله؛ بل الّذي كان يشغله الدّفاع عن العقيدة الإسلاميّة، وقد رفع الله شأنه، وأغاظ به الأعداء، لكن مازال من غيظهم منه يتكلّمون إلى هذا اليوم فيه ويتّهمونه بأنواع من الاتّهامات.

الشّاهد: أنّ الشّيخ أشار إلى هذه الفائدة، وأنّنا نجد في "بدائع الفوائد"، كثيرًا من المقارنات بين الكلمات، وهناك كتب أخرى أيضًا تتكلّم عن هذا الموضوع المهمّ؛ وقد مرّ معنا: أنّ هذه اللّغة عماد لفهم الشّرع، فنسأل الله أن يجعل في قلوب أهل الإسلام عناية بها، وحرصًا عليها، ونشرًا لها، وإعراضًا عن غيرها.

---

(١) ٢/ ٩٢-٩٦.

ونسأل الله أن يرفع هذه اللّغة، ويرفع أهلها، يرفع التّاريخ الإسلامي، ويرفع أهله، ويصرف عنّا كلّ ما يُذهب هويّتنا، ويُذهب عنّا كلّ ما يُدخلنا في الذّوبان في حال أهل الكفر، ويحفظ علينا عقيدتنا، ويحفظ علينا هويّتنا، ويحفظ علينا إيماننًا، نحن وذرّيّتنا، اللّهمّ آمين.

قال الشّيخ:

(وقوله: «وَالنِّعْمَةَ» أي الإنعام، فالنعمة لله.) «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ» (وقوله: « وَالنِّعْمَةَ لَكَ » كيف تتعدى باللام ؟ مع أن الظاهر أن يقال: النعمة منك؟) «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ» (الجواب: النعمة لك يعني التفضل لك فأنت صاحب الفضل.)

«النِّعْمَةَ لَكَ» يعني: أنت المنعم، أنت المتفضّل علينا، مثلما نقول: الفضل لك، (وقوله: « وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ »)

فهنا تقرير ثلاثة مسائل:

١) المسألة الأولى: الحمد.

٢) المسألة الثّانية: النّعمة.

٣) المسألة الثّالثة: الملك.

(الملك شامل لملك الأعيان وتدبيرها وهذا تأكيد بأن الحمد والنعمة لله لا شريك له فإذا تأملت هذه الكلمات وما تشتمل عليه من المعاني الجليلة وجدتها أنها تشتمل على جميع أنواع التوحيد)

يعني: الآن الحمد لك، النّعمة لك، الملك لك، الملك أتى هنا بمثابة التّأكيد على أنّ الأمر كلّه لك؛ فإذَا تأمّلنا هذه الكلمات وجدناها تدلّ (على جميع أنواع التوحيد وأن الأمر كما قال جابر -رضي الله عنه- «فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ». والصحابة -رضي الله عنهم- أعلم الناس بالتوحيد.) ولذَا لا يمكن أن يكون الإنسان موحّدًا كما ينبغي؛ إلّا إذَا كان على منهجهم، على منهج السّلف الصّالح، وليُعلم أنّ كلّ من ترك منهج السّلف الصّالح؛ فإنّه يدّعي أنّه من أهل التّوحيد؛ بل كما مرّ معنا: ليس فقط أهل الإسلام الّذين تركوا منهج السّلف الصّالح يدّعون أنّهم من أهل التّوحيد؛ النّصارى الّذين يعبدون عيسى، ويقولون ثلاثة في واحد: هؤلاء يقولون عن أنفسهم إنّهم موحّدون، ويرفضون أيّ دعوى بكونهم مشركون! وإذا قلت للنّصراني، وأنا أقصد خاصّة النّصراني العربي، إذَا قلت له: (إنّ الله لا يقبل إلّا دين الإسلام المبني على الاستسلام لله بالتّوحيد) قال لك: (نحن موحّدون!) فأعلم النّاس بالتّوحيد هم الرّسل، ومن بعدهم الأنبياء، ومن بعدهم الصّحابة الكرام؛ فلذَا يُشترط أن يكون توحيدنا على توحيدهم؛ فلا يُسمّى الإنسان موحّدًا إلّا إذَا شابههم.

والآن الشّيخ يبيّن كيف أنّ هذه التّلبية جمعت أنواع التّوحيد: (فقوله «وَالْمُلْكَ» من توحيد الربوبية، والألوهية من توحيد الربوبية أيضا لأن إثبات الألوهية متضمن لإثبات الربوبية، وإثبات الربوبية مستلزم لإثبات الألوهية ولهذا لا تجد أحدًا يوحد الله في ألوهيته إلا

وقد وحده في ربوبيته، لكن من الناس من يوحد الله في ربوبيته ولا يوحده في ألوهيته وحينئذ نلزمه ونقول: إذا وحّدت الله في الربوبية لزمك أن توحّده في الألوهية ولهذا فإن عبارة العلماء رحمهم الله محكمة: حيث قالوا (توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية).)

العبارة الأخيرة هي فحوى الأمر، نبدأ من عند قوله:

«إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لك، وَالْمُلْكَ» الملك لله، هذا فيه توحيد الرّبوبيّة؛ أنّه هو الرّبّ، المالك لكلّ شيء.

مجرّد كون أنّك تعترف بربوبيّة الله؛ هذا يُلزمك أن تؤلّهه وحده، إذَا كان الملك له وحده فإذًا المفروض التّأليه والعبادة له وحده؛ فتوحيد الرّبوبيّة يُلزمك بتوحيد الألوهيّة.

إذَا كان الإنسان الحمد لله مؤلّها لله، فهذا لابدّ أن يتضمّن في داخله؛ أيّ تأليه يتضمّن توحيد الرّبوبيّة؛ لأنّ أيّ أحد يصلّي ويعبد الله لابدّ أنّه مؤمن بأنّ الله ربّ، وملك؛ ولذلك اتّخذه إلهًا.

بقي توحيد الأسماء والصّفات قال:

(ونأخذ توحيد الأسماء والصفات من قوله «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ».

فالحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.)

فما دمنا قلنا: إنّ الله له الحمد، إذًا نحن نقول: له صفات كاملة توجب المحبّة والتّعظيم.

إذًا: المعترف بالحمد يصف الله -عزّ وجلّ- بأنّ له أسماء وصفات، وأنّ هذه الأسماء والصّفات كاملة مع المحبّة والتّعظيم له سبحانه وتعالى. (والنعمة من صفات الأفعال) يعني: أنّ العبد يعترف أنّ الله -عزّ وجلّ- له النّعمة، بمعنى: أنّ من أفعاله: الرّزق، الإحياء، الإماتة؛ فبهذا تكون هذه الجملة تضمّنت: توحيد الأسماء والصّفات.

يسأل الشّيخ يقول:

(ومن أين نعرف أنه بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؟ الجواب: من قوله « لَا شَرِيكَ لَكَ » لأن التمثيل شرك)

يعني: نحن عقيدتنا: إثبات صفات الله -عزّ وجلّ- وأفعاله وأسمائه بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ فمن أين لنا كلمة: بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل ؟ (من قوله « لَا شَرِيكَ لَكَ » لأن التمثيل شرك والتعطيل شرك أيضًا) لأنّ الممثّل يجعل صفات الله مثل صفات غيره، فأصبح غير الله شريكًا له في الصّفة، والمعطّل أيضًا يشرك. لماذا؟ لأنّ المعطّل هو الّذي يقول: (ليس لله صفات) وصل في التّنزيه إلى هذا الحدّ! يعني: أراد أن ينزّه الله عن النّقائص فوصل أن عطّل صفات الله! (والمعطل لم يعطل إلا حين اعتقد أن الإثبات تمثيل) إثبات الصّفات تمثيل (فمثَّل أولًا) يعني: في ذهنه أوّلًا، قال: (لو أثبتّ الصّفات معناها مثّلت الله بخلقه) فماذا فعل؟ أوّلًا أثبت التّمثيل ثمّ انتقل وعطّل ثانيًا. هذا بالنّسبة للتّمثيل والتّعطيل. والتّحريف والتّكييف إنّما هم في داخل التّعطيل والتّمثيل، يعني: كأنّ التّحريف

والتّكييف هي بداية، بمعنى: أنّ المعطّلين يتّجهون إلى التّحريف؛ لأجل أن يفسّروا معاني الآيات. هم يريدون أن يعطّلوها، يعطّلوا دلالتها على الصّفة، فماذا يفعلون؟ من أجل تعطيل دلالتها على الصّفة يفعلون هذا الفعل، يحرّفون الآيات.

والّذي يمثّل صفات الله في خلقه؛ أوّلًا يبقى يسأل: (كيف؟ كيف هذه الصّفات؟) حتّى يصل إلى التّمثيل. فالتّحريف والتّكييف متضمّنان التّمثيل والتّعطيل، بمعنى: لا يصل إلى التّمثيل إلّا واحد يسأل عن الكيفيّة بهذه الطّريقة. والتّحريف وسيلة التّعطيل.

يقول:

(وبهذا تبيّن أن هذه الكلمات العظيمة مشتملة على التوحيد كله ومع الأسف أنك تسمع بعض الناس في الحج أو العمرة يقولها وكأنها أنشودة، لا يأتون بالمعنى المناسب تقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك). لكنهم يقفون على (إن الحمد والنعمة لك) ثم يقولون: (والملك لا شريك لك).)

بمعنى: أنّهم حتّى لا يقولونها بالطّريقة الصّحيحة الّتي توجب المعنى الصّحيح.

هكذا نكون انتهينا من معنى التّلبية.

قال:

(مسألة: فهل لنا أن نزيد على ما ورد عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من التلبية التي رواها جابر -رضي الله عنه- ؟ نقول: نعم، فقد روى الإمام أحمد في المسند: أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يقول: «لبيك إله الحق»[1] و «إله الحق» من إضافة الموصوف إلى صفته أي: لبيك أنت الإله الحق.)

«لبيك إله الحق» يعني: الإله الّذي صفته الحقّ.

(وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يزيد: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والرغباء إليك والعمل»[2]. فلو زاد الإنسان مثل هذه الكلمات فلا بأس، اقتداء بعبدالله ابن عمر -رضي الله عنهما- لكن الأولى ملازمة ما ثبت عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم-.

وهل لهم أن يكبروا بدل التلبية إذا كان في وقت التكبير كعشر ذي الحجة؟ الجواب: نعم، لقول أنس -رضي الله عنه- «حججنا مع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- منا المكبر ومنا المهل»[3]

وهذا يدل على أنهم ليسوا يلبون التلبية الجماعية ولو كانوا يلبون التلبية الجماعية لكانوا كلهم مهلين أو مكبرين لكن بعضهم يكبر، وبعضهم يهل، وكلّ يذكر ربه على حسب حاله.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٧٦.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٥٩).

مسألة: قال العلماء رحمهم الله: وينبغي أن يذكر نسكه في التلبية، فإذا كان في العمرة يقول: لبيك اللهم عمرة، وفي الحج: لبيك اللهم حجًا، وفي القران: لبيك اللهم عمرة وحجًا.)

بهذا نكون انتهينا من مسألة التّلبية.

جزاكم الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء الرّابع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الرّابع من لقاءات قراءة "شرح حديث جابر في حجّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-" للشّيخ ابن عثيمين، رحمه الله.

وصلنا إلى قول جابر -رضي الله عنه-:

(«فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا» قال العلماء -رحمهم الله-: الرَّمَل هو: سرعة المشي مع مقاربة الخطا.

والظاهر أن مرادهم من (تقارب الخطا) أي أن الإنسان لا يمد خطوه لأن العادة في الإنسان إذا أسرع تكون خطوته أبعد. لكن يسرع ولا يمد خطوه بل يكون طبيعيًا) يعني: الخطوة الطّبيعيّة، لكن يكون أسرع، يعني المقصود: ما يصل إلى حدّ الجري (وليس الرمل هو هزّ الكتفين كما يفعله الجهال.)

وقوله: («ثَلَاثًا» أي: ثلاثة أشواط) يعني: النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يرمل ثلاثة أشواط.

(«وَمَشَى أَرْبَعًا» يعني أربعة أشواط مشى على عادته بدون إسراع.

ويسن له الاضطباع في الطواف) ما هو الاضطباع؟ قال:

(وهو: أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن، وطرفيه على عاتقه الأيسر) وبهذا يظهر الكتف الأيمن (والحكمة من ذلك: الاقتداء برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-[1] وإظهار القوة والنشاط إذ هو أنشط للإنسان مما لو التحف والتف بردائه.) وهذا معنى يُفهم حال رُؤيته، ومباشرته، وملاحظته، يعني: يتصوّر الإنسان هذا أنّ إظهار الكتف ليس مثل التّلفف بالرّداء.

بقيت (مسألة:) قال الشّيخ:

(وهل الاضطباع مثل الرمل يكون في الأشواط الثلاثة أو يكون في جميع الأشواط؟ الجواب: نقول يكون في جميع الأشواط.) وبعد ذلك سيبقى سؤال معنا: وهل هو في طواف القدوم؟ وطواف الإفاضة؟ يعني: أوّل ما يدخل الإنسان البيت أو يكون أيضًا في الإفاضة؟ بعد ذلك -إن شاء الله- يتبيّن جوابه.

(وقوله: «ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام») هذا جزء من الحديث، يقول فيه جابر، -رضي الله عنه-: أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- نفذ إلى مقام إبراهيم. نقرأ الجملة كاملة:

«فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ» مرّ معنا

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤/٢٢٣ .

أنّ هناك من يهلّل وهناك من يكبّر؛ والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لم يردّ عليهم شيئًا منه.

(وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- تَلْبِيَتَهُ) الّتي هي: لبّيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك.

(قَالَ جَابِرٌ -رضي الله عنه-: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ) يعني: لا يعرفون أنّ العمرة تدخل في الحجّ؛ وسيتبيّن بعد ذلك: كيف يعلّمهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- دخول العمرة في الحجّ.

«حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ» وفهمنا معنى استلام الرّكن.

(فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا) إلى هنا فهمنا -الحمد لله- ما هو الرّمل، وكيف أنّه السّرعة مع تقارب الخطى في الثّلاث الأشواط الأولى، ومشى أربعًا في الثّانية، والشّيخ بيّن لنا أنّه في هذه الحالة كان مضطبعًا؛ و(الإضطباع في الطواف وهو: أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن، وطرفيه على عاتقه الأيسر).

يقول جابر:

«ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾».

نبدأ بهذه الجملة: (وقوله: «ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام» يدل على أن هناك زحامًا) لأنّ النّفوذ ما يكون إلّا بعد شدّة، يعني:

بتعبيرنا كأنّه وصل إليه بالقوّة (وفي رواية ثم تقدم إلى مقام إبراهيم والجمع بينهما أنه نفذ متقدما إلى مقام إبراهيم ليصلي خلفه.)

قال الشّيخ:

(ومقام إبراهيم هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرقى عليه لما ارتفع جدار الكعبة.)

يعني: وقتما أمر الله إبراهيم -عليه السّلام- ببنائها، هذا الحجر هو الّذي استعمله إبراهيم -عليه السّلام- في البناء، ومن العجائب أنّ الحجر الأصمّ -هو ليس طينًا؛ حجرًا أصمّ- بقيت فيه علامة قدم إبراهيم عليه السّلام.

(وقوله: « فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾» قرأ ذلك في حال نفوذه)

يعني: هذا يشبه حين ينفذ إلى الصّفا والمروة؛ يقول: (إنّ الصّفا والمروة من شعائر الله)، فهو حين يأتي من أجل أن يصلّي خلف المقام، يقول: (واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى).

فـ (قرأ ذلك في حال نفوذه إشارة إلى أنه إنما فعل ذلك امتثالا لأمر الله تعالى في قوله ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1] وهذا أمر مطلوب منّا عندما نفعل العبادات أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالًا لأمر الله تعالى).

(١) البقرة: ١٢٥.

فيذكّر نفسه بالآية -صلّى الله عليه وسلّم- ويبيّن أنّ هذه الحالة الّتي هو عليها؛ إنّما هي امتثال لأمر الله بأن نتّخذ ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

(فإن هذا مما يزيد في إيمانه ويجد لها لذة وهذه هي نية المعمول له. بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات: إن النية نوعان: نية العمل ونية المعمول له).

- نيّة العمل، يعني: أصلّي، أطوف، أتصدّق.
- نيّة المعمول له، يعني: وأقصد بذلك رضا الله، وامتثالًا لأمر الله.

قال الشّيخ:

(والأخيرة أعظم مقامًا من الأولى لأن نية العمل تأتي ضرورة فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده)

يعني: تتقدّم اتّجاه مكان الوضوء وتصبّ الماء. ماذا تريد؟ لا يمكن أن تعيش بدون أن يكون عندك نيّة في أعمالك الّتي تقوم بها؛ لا بدّ أن يكون لك مقصد، لكن من أجل مَن تفعل هذا؟ امتثالًا لأمر مَن؟ هل أنت مستشعر أنّ هذا امتثالًا لأمر الله؟ متابعة لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-؟ هل استشعرت الأجر المترتّب على ذلك؟ هذا هو نيّة المعمول له.

حتّى التّكبير؛ من آثاره تعظيم الله، وتحسين النّيّات؛ بحيث أنّه يصبح الإنسان دائمًا ذاكرًا أنّ هذا العمل الّذي يعمله؛ يطلب فيه رضا الله.

قال الشّيخ:

(حتى قال بعض العلماء -رحمهم الله-: لو كلفنا الله عملًا بلا نية لكان من تكليف ما لا يطاق.)

يعني: لو لم يكن هناك نيّة للعمل -الّتي هي النّوع الأوّل: نيّة العمل- لو كَلَّفَنَا أن نعمل عملًا بدون نيّة؛ل كان كُلِّفْنَا ما لا نطيقه! لماذا؟ لأنّه من طبيعتنا أن تقصد شيئًا!

(لكن المقام الأسنى والأعلى نية المعمول له التي تغيب عنا كثيرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ استدل بعض العلماء رحمهم الله باستشهاد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بهذه الآية على أن ركعتي الطواف واجبة وهذا له حظ من النظر لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فسر به الآية الدالة على الوجوب للأمر بها).

﴿ٱتَّخِذُواْ﴾: فعل أمر؛ فحين قرأها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، دلّ على أنّ هذا الّذي أُمرنا به، أو الّذي فعله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ نحن مأمورون به.

(ولهذا لا ينبغي للإنسان أن يدع الركعتين بعد الطواف.)

لأنّ الركعتين بعد الطّواف الآن اعْتُبِرَتْ واجبة. من أين؟ اعْتُبِرَتْ واجبة من هذا الدّليل.

(وقوله «فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ» المقام أي مقام إبراهيم جعله بينه وبين الكعبة.

وهذا يشعر بأن المقام في مكانه الحالي لأنه لو كان لاصقًا بالبيت كما في الرواية المشهورة ما احتاج أن يقول جعل) المقام (بينه وبين البيت لأن المقام لاصق بالبيت.) وهذا يبيّن لنا شأنًا: أنّه اشتهر أنّ هذا الحجر كان لاصقًا بالبيت ثمّ أُخّرَ، سيذكر الشّيخ هذا الكلام الآن:

(وهذه المسألة اختلف فيها المؤرخون وأكثر المؤرخين على أنه كان في أول الأمر لاصقًا بالبيت ثم زحزح ولكن الذي يظهر أنه من الأصل في مكانه هذا.)

معنى ذلك: أنّ مقام إبراهيم في مكانه، ليس كما اشتهر عند المؤرّخين. المشكلة: أنّه شُهر أنّه كان لاصقًا في البيت ثمّ زُحزِحَ عن مكانه، جعلت بعض النّاس يقترحون أن يتزَحزح أكثر. لكن حين جابر قال: «فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ» معناه: ممكن يكون المقام وراءه، ويقدر أن يصلّي، فيصبح هناك فراغ بين المقام وبين البيت. (ومقام إبراهيم جعل الله فيه آية وهي أثر قدمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام) سبحان الله! (وقد شهده أوائل هذه الأمة شهدوا أثر القدم ولكنه انمحى وزال لكثرة مسه من الناس. وقد أشار إلى هذا أبو طالب في قوله: وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيًا غير ناعل[1].)

(١) البداية والنهاية ٣/ ٤٣.

لكن الآن نحن نرى أثر القدمين موجودًا هذا حصل -والله أعلم- بعد إزالة آثار الطّمس، يعني: كأنّه هذا كان بعمل احترافي: أتوا إلى أثر القدمين، وحدّدوها، وأبرزوها، وأزالوا عنها ما وقع عليها من طمس - هذا والله أعلم - ثمّ وضعوها في الزّجاجة المشهورة الّتي يراها النّاس اليوم؛ من أجل أن لا يحصل لها طمس من جديد.

(وقوله: «فصلى» يعني ركعتين.)

نعود للحديث الآن، ونرى:

«فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ -وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»

يعني: جابر بن عبد الله، يحكي عن أبيه. فصلّى، يعني: ركعتين.

(واعلم أن المشروع في هاتين الركعتين التخفيف وأن يقرأ فيهما بـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[1] و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] وأنه ليس قبلهما دعاء وليس بعدهما دعاء.) ، قراءة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ تُعتبر من التّخفيف في الصّلاة.

قال: (والحكمة من تخفيفهما أن تفسح المجال لمن هو أحق منك فالناس ينتهون من الطواف أرسالًا فإذا انتهى الطائفون وأنت حاجز

(١) الكافرون: ١.

(٢) الإخلاص: ١.

هذا المكان تطيل الصلاة فمعناه أنك حجزت مكانًا لمن هو أحق منك) أين أحقّ منك؟ أنّه هو كذلك يصلّي الرّكعتين.

(فلا تطل الصلاة ثم إنه قد يكون المطاف مزدحمًا فيحتاج الطائفون إلى المكان الذي أنت فيه أيضًا).

يعني: ليس فقط الّذي يصلّي؛ وهذه اليوم أصبحت مشكلة كبيرة: أصبح من الصّعب جدًّا، حتّى في غير مواسم رمضان والحجّ، من الصّعب الصّلاة خلف مقام إبراهيم للرّجال، فما بالك للنّساء! إلّا في أوقات معيّنة، ربّما تكون أوقاتًا مختارة، تستطيع المرأة أنّها تصلّي خلف مقام إبراهيم؛ ومع ذلك المشروع أن لا تطيل.

ولاحظوا: أنّ هذه من سنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (فمن ثم خفف النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الصلاة) إذًا هذه صلاة خفيفة (واختار أن يقرأ بعد الفاتحة بسورتي الكافرون و الإخلاص ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لأن إمام الحنفاء هو صاحب هذا المقام وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي قال الله لنبيه محمد -صلّى الله عليه وسلّم-: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1]. والحكمة في قراءة هاتين السورتين أن فيهما التوحيد كله بنوعيه التوحيد الخبري والتوحيد الطلبي العملي فالتوحيد الخبري في ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾) تخبر عنه أنّه ﴿أَحَدٌ﴾

(١) النحل: ١٢٣.

سبحانه وتعالى (والعملي الطلبي في ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.) معناه: أنّه لا أعبد إلّا واحد، هذا توحيد عملي.

قال:

(وهل للمقام دعاء؟ الجواب: ليس للمقام دعاء ولا دعاء قبل الركعتين ولا بعدهما)

(ولكن المشكلة أن مثل هذه البدع صارت كأنها قضايا مسلّمة مشروعة حتى إن الحاج ليرى أن حجه ناقص إذا لم يفعل هذا وكل هذا بسبب تقصير العلماء أو قصورهم)

يعني: إمّا أن يكونوا يعرفوا ولا يعلموا، ويتركوا مثل هذه المواسم للجهّال، أو أنّهم هم بأنفسهم لا يعلمون، ولا يبحثون في السّنّة.

(وإلا فمن الممكن أن يعطى هؤلاء الحجاج مناسك من بلادهم توجههم للطريق الصحيح.)

واليوم الأزمة ليست فقط في مناسك الحجّ، اليوم -الحقيقة- الأزمة أكبر من ذلك بكثير! يعني: الصّلاة، الّتي هي أصل الفرائض العمليّة؛ تجد الكثير من الحجّاج لا يعلمون كيف يصلّون! وحاجز اللّغة حاجز كبير جدًّا، والحاجز الّذي صنعه أهل الباطل أكبر وأكبر! يعني: يأتي النّاس من الشّرق والغرب ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1] لا يعرف شيئًا! لكن يعرف أنّه يُعاديك أنت! لأنّك وهابي فقط! يعني: أنت المرأة الّتي بهذا

(١) الحج: ٢٧.

الشّكل، وبهذه الصّورة؛ لا يأخذ منك أبدًا! أنت لو قلت لها فقط: (أدخلي شعرك) ترفض هذا! -فسبحان الله!- الجهل منتشر بالدّين! والعداوة! يعني: ما وصل إليهم الدّين ووصلت لهم العداوة! فهذا إنّما هو من آثار الشّيطان الرّجيم، نعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم.

(وقوله: « ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ») يعني: جابر -رضي الله عنه- قال بعدما صلّى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وقرأ «فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ»، «إِلَى الرُّكْنِ» يعني يقصد: الحجر الأسود. يقول: (يعني استلم الحجر الأسود ولم يقبله ولم يرد عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه أشار إليه وعلى هذا فيكون هنا استلام بلا تقبيل)

يعني: عاد إلى الحجر الأسود، واستلمه بيده، مسح عليه، لكن لم يقبّله، ولم يُشر إليه من بعيد. طبعًا الآن هذا الأمر متعذّر؛ إذًا: (ولا إشارة إليه عند التعذر) بمعنى: نصلّي الرّكعتين، من المؤكّد أنّنا لا نستطيع أن نعود إلى الحجر الأسود، فنستقبل الصّفا والمروة، لا نُشير إلى الحجر.

«ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ».

(وقوله: « ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا » يعني بعد أن صلى الركعتين خلف المقام رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب أي من باب المسجد إلى الصفا)

طبعا هذا لأنّه في الزّمن الماضي كان الحرم، يعني: المطاف، منفصلًا عن مكان السّعي، وكان بينهم أبواب، وفي الصّور القديمة إلى عهد قريب، كان هناك حتّى أسواق، يعني: تصير خارج المطاف وقبل السّعي.

«ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ» من باب المسجد «إِلَى الصَّفَا» (ومن المعلوم أنه سيختار الباب الذي يلي الصفا.» ما هو الصّفا؟ (والصفا هو الجبل الذي يكون أمام الحجر الأسود من الكعبة) لأنّ النّاس دائمًا يحصل لهم خلط من أين يبدؤون؟ فهم إن كانوا في الدّور الأرضي -الكلام عن اليوم- ليس في البدروم، البدروم هو الّذي من المطاف يدخلون مباشرة إليه، هذا البدروم. بعد ذلك الدّور الأوّل، والثّاني، والسّطح، سطح السّعي؛ يظهر للمتأمّل جيّدًا الكعبة. أين؟ في الدّور الأوّل تظهر له من بعيد، وتظهر الآن مع التّوسعة الجديدة أيضًا، الّتي في الدّور الثّاني، والّذي في السّطح طبعًا سيكون واضحًا له؛ المشكلة دائمًا: الّذي في البدروم غالبًا لا يرى الكعبة، فهو لابدّ أن يكون متصوّرا الجهة الّتي تكون من عند الحجر الأسود ستكون هي: الصّفا، الجهة الثّانية ستكون هي: المروة.

أحيانا النّاس الّذين يسعون في ممرّ العربيّات، أو يسعون في الأماكن المخصّصة لعربات الكهرباء؛ هؤلاء لابدّ أن يكون لديهم فقط تصوّر: أين الحجر الأسود؟ من أجل أن يكون هناك الصّفا. طبعا سُهّل على

النّاس كثيرًا اليوم؛ كون أنّهم وضعوا الإشارات أنّ هنا الصّفا، وهناك المروة، لكن مع الزّحام حتّى هذه الإشارات لا تُرَى في الحقيقة! وأناس كثيرون يحصل لهم إشكال من أين يبدؤون؟! في هذه الفترة الأخيرة، يعني: في السّنتين الأخيرة، وُجد الكثير من المرشدين، لكن لا تتوقّع أنّ كلّ هذه الأفواج سيلحقهم المرشد.

فلابدّ من تعليم النّاس: أنّ جبل الصّفا هو الّذي يكون قبالة الحجر الأسود، أمام الحجر الأسود من الكعبة، وهو الّذي يُبتدأ منه.

قال:

(أو يميل قليلًا إلى الركن اليماني.) لابأس، فهذه هي المنطقة (وهو جبل معروف يسمى جبل أبي قبيس[1].

وقوله: « فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا » يعني قرب منه. « قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ».)

الآن النّاس إذَا كانوا سيطوفون؛ سواء كانوا في البدروم أو في الطّابق الأوّل؛ سيخرجون من صحن المطاف، ويدخلون على منطقة؛ سواء سيمرّون منها ويصعدون إلى فوق لأجل أن يصعدوا للدّور الأوّل، أو سيكملون فيدخلون البدروم. في هذه مسافة السّير حين يقتربون؛ يقرؤون: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ لأنّ هذا الآن الباب

(١) الصفا بالفتح والقصر. والصفا والصفوان والصفواء كله العريض من الحجارة الملس. جمع صفاة ويكتب بالألف ويثنى صفوان. ومنه الصفا والمروة وهما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. أما الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق. معجم البلدان ٤٦٧/٣.

الأقرب؛ لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خرج من باب إلى الصّفا: إنّما هو الباب الأقرب للصّفا؛ واليوم هذه هي الخطّة: أنّ النّاس يطوفون إذَا كانوا يطوفون في صحن المطاف؛ يخرجون على يمينهم، يفوّجونهم من مكان معيّن يدخلهم على الصّفا، حين يتركون المطاف تمامًا، ويدخلون تحت الأدوار، ويأخذون يمينهم ويبدؤون في الصّعود، يعني: يكادون أن يكونوا قد خرجوا من المطاف؛ ومن هنا يقرؤون: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وكلّما كان أقرب كان أحسن. إلى أن يصل فيقول: «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ».

وسنعود الآن إلى فائدة هذه القراءة، قال:

(وفائدة هذه القراءة إشعار نفسه بأنه إنما اتجه إلى السعي امتثالًا لما أرشد الله إليه في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[1] وليعلم الناس أنهم إنما يسعون بين الصفا والمروة من أجل أنهما من شعائر الله، وليعلم الناس أيضًا أنه ينبغي للإنسان إذا فعل عبادة أن يشعر نفسه أنه يفعلها طاعة لله -عزّ وجلّ-)

لابدّ أن تحدّث نفسك، وتنبّهها، وتذكّرها.

(١) البقرة: ١٥٨.

الآن يضرب الشّيخ مثالا لمسألة الطّاعة، واستشعار نيّة المعمول له، يقول:

(كما لو توضأ الإنسان فينبغي أن يستشعر عند وضوئه أن يتوضأ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[1]. ويشعر أيضًا أنه يتوضأ كأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمامه يتبعه في وضوئه وهكذا جميع العبادات فإذا استشعر الإنسان عند فعل العبادة أنه يفعلها امتثالًا لأمر الله فإنه يجد لها لذةً وأثرًا.)

وهذه من العادات الّتي يجب أن تُكتسب: تعويد النّفس على استحضار المعمول له.

(وقوله: قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2] يحتمل أنه قرأ الآية كلها وكان السلف يعبرون ببعض الآية عن جميعها، ويحتمل أنه لم يقرأ إلا هذا فقط الذي هو محل الشاهد، وهو كون الصفا والمروة من شعائر الله وكون الصفا هو الذي يبدأ به، وهذا هو المتعين)

ولذلك إذَا أرشدت أحدًا من أين يبدأ؟ قل له مثل الآية: تبدأ من ﴿ٱلصَّفَا﴾.

إذَا عرفت الصّفا من خلال اللّوحات الإرشاديّة -فالحمد لله - إذَا لم تعرفها حاول أن تتصوّر: الحرم، ومن أين الحجر الأسود؟ هذا الموطن هو الموطن الّذي يكون بداية الصّفا.

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) البقرة: ١٥٨.

قال:

(وكون الصفا هو الذي يبدأ به، وهذا هو المتعين وذلك لأن الأصل أن الصحابة -رضي الله عنهم- ينقلون كل ما سمعوا وإذا لم يقل: حتى ختم الآية أو حتى أتم الآية فإنه يقتصر على ما نقل فقط.)

يعني: الآن بعد الطّواف عند مقام إبراهيم؛ نقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1] فقط هذا الشّاهد.

وعند الذّهاب للسّعي: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ فقط الشّاهد.

طبعًا النّاس يكملون: ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾[2]؛ والشّيخ يرجّح أنّ الأصل أن نقف هنا.

وكلّ شيء يُقدر بقدره: تعليم السّنّة ومعرفتها أمر ذَا شأن، مهمّ جدًّا أن نتعلّم السّنّة، وننشرها، لكن نعرف كيف نوجّه ونبيّن للنّاس الخطأ من الصّواب؟ ونقدّر الأمور بقدرها؛ لأنّ بعض النّاس حين يعرف معلومة؛ لا يعطيها للّذي يناسبه أن يعطيه المعلومة؛ مجرّد أنّه يعرفها فإنّه يهاجم النّاس بها: (وأنّها خطأ! وأنّها بدعة!) لا! اصبروا! اصبروا! هذا أصلًا أمر قد اختلف فيه العلماء، وليس معنى كلمة: (اختلف فيه العلماء) أنّها تبيح لنا! لكن المقصود: أنّ الأمر يسير! وحين نقول: الأمر يسير، يعني: الأمر محتمل، والأمر لا تتأثّر به العبادة.

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(وقوله ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الشعائر جمع شعيرة وهي النسك أو العبادة المتميزة عن غيرها بتعظيم الله -عزّ وجلّ-.)

ومن هنا نحن نقول شعائر الحجّ؛ لأنّ هذه الشّعائر هي: أماكن أداء النّسك الّتي بها نعظّم الله.

(وقوله: « أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ » لأن الله بدأ بالصفا فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ وفيه إشارة إلى أن الله إذا بدأ بشيء كان دليلًا على أنه مقدم إلا بدليل.)

مثال بسيط: حين يكون -هذا طبعًا على اعتقاد أنّ ترتيب المصحف توقيفي- حين أبحث في أسباب الهداية مثلًا، وأقول

(ما هي أهمّ أسباب الهداية؟) فأجد في الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1].يعني: الدّعاء.

وأجد في البقرة، في أوّلها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2]، فأقول:

أوّلًا: أدعو.

ثانيًا: أتدبّر القرآن.

ثالثًا: وبعد ذلك في آخر صفات المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) البقرة: ٢.

إذًا أؤمن: أنّه يجب أن أدعو ربّنا، أطلب الهداية، أكون قاصدةً لها، وأتدبّر القرآن، ويكون بعد تدبّر القرآن في قلبي من عقائد الإيمان بالغيب، وعمل الصّالحات؛ لا يجعلني على هُدًى من ربّي.

فهذا مثال بسيط جدًّا لمسألة التّرتيب؛ أنّه لو بدأ الله بشيء؛ كان دليلًا على أنّه مقدّم، إلّا بدليل يخرّجنا عن هذه المسألة.

الآن، أنا لا تحضرني مسألة فيها دليل يُخلِف التّرتيب، لكن ربّنا يعلّمنا.

قال:

«فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ».

(وقوله: «فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ» أي: عليه وهذا الرقي ليس بواجب وإنما هو سنة) بمعنى: رَقَى الجبل: ارتفع عليه (وإلا لو وقف على حد الصفا من أسفل) الجبل (حصل المقصود لقوله تعالى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٢] يعني: ما بينهما (وحد الواجب الآن) قال الشّيخ: (هو حد هذه الأسياخ التي جعلوها للعربات) ولازالت موجودة؛ ممرّ العربات هذا حدّها، بمعنى: أنّه ممكن أن لا يصعد إلى فوق، مباشرة من أسفل يلفّ ويذهب إلى المروة.

---

(١) البقرة: ٥.

(٢) البقرة: ١٥٨.

يقول: (وعلى هذا فلا يجب أن يصعد ويتقدم ولا سيما في أيام الزحام.).

بعد ذلك سيبدأ الشّيخ في وصف الموقف أوّل ما يقف أمام الصّفا، وكيف سيكون ذكره ودعاؤه؟ هذا يكون في الدّرس القادم.

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم، أن يتقبّل منّا، ويعلّمنا، ويفهّمنا، ويجعلنا من المعظّمين لشرعه، الرّاغبين في رضاه، المتقرّبين إليه باتّباع رسوله -صلّى الله عليه وسلّم-.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء الخامس

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ لقاءنا الخامس من سلسلة هذه اللّقاءات الّتي فيها "شرح حديث جابر".

وصلنا لكلام جابر -رضي الله عنه- الّذي فيه أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- («دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾» وبدأ «بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ»).

(وقوله: «حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ» أي: الكعبة «فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وقوله: «فَوَحَّدَ اللَّهَ» أي: نطق بتوحيده ولعله قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الله أكبر.)

يعني: وحّد الله، وكبّره، فأوّلا: قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، ثمّ: الله أكبر.

(والنفي هنا نفي للإله الحق) الشّيخ يريد أن يفسّر معنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فإنّ (لا) نافية للجنس، إذَا نفت الجنس إذًا تنفي جميع الآلهة، فكيف نقدّرها؟ هل ننفي جميع الآلهة؟ ماذا نقصد؟ فقال الشّيخ:

(أي: لا إله حق إلا الله) يعني: جنس الآلهة الحقّ كلّها منفيّة إلّا الله وحده الّذي يستحقّ العبادة.

(وأما الآلهة التي تعبد من دون الله فليست بحق) وهذا الأمر من العجائب أنّه واضح جدًّا في سورة الحجّ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[1] والحجّ كلّه لإظهار هذا المعنى: أنّ القلوب توجّهت إلى البيت الّذي أمرها الله، وفعلت ما أمرها الله، والله غيب، وهي مؤمنة به مقبلة عليه، راغبة في رضاه؛ بهذه الأعداد الهائلة من النّاس كلّهم أتوا إلى الله مؤتمرين بأمره.

وحين يأتي أحدهم يقول: (النّاس يأتون أفواجًا مثلًا: على الملاعب، أو على الأماكن الّتي فيها لهو)، ويعدّدون لك أرقامًا في مدرّجات الملاعب. نقول: هؤلاء أتوا يشهدون شهادة، ويرون أمرا ممتعا، ولذّة؛ وهؤلاء ينفضّون بعد قليل، ويملّون بعد حين! لكن في هذا البيت العتيق؛ يأتي النّاس مشتاقون ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[2] وادٍ لا أنهار تجري، ولا خضرة تُزار، ويَفتتن بها الإنسان، ولا جوًّا يكون مصيفًا فيه أو مشتًا، ولا أيّ شيء من هذا! إنّما ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ لكن عند بيتك المحرّم، بيت الله! فهم يأتون من غير أن تكون هناك لذائذ، يأتون للإله الحقّ، يمتثلون الأمر، ويأتون يطلبون لأنفسهم التّزكية، لا يطلبون مُتَعًا زائلة، والعجيب أنّهم يخرجون ولم يقضوا منه وَطَرًا! ويرجعون إلى ديارهم

(١) الحج: ٦٢.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

والشّوق يحدوهم إلى العودة رغم ما كانوا يجدونه من زحام ومن أمور صعبة، اختلفت عليهم الأوضاع، ليست ديارهم، ولا وطنهم، وفارقوا أهلهم، ومع ذلك يحدوهم الشّوق أن يعودوا! ولا تجد مؤمنًا ضعيف الإيمان، ولا قويّ الإيمان إلّا وفي قلبه لبيت الله مكان! فالله يجعلنا من أهل الإيمان المتّقين المعظّمين.

وهذا كلّه في سورة الحجّ يظهر جليًّا أنّ ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾[1].

(وقوله: «وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يحتمل أنه زائد على قوله فوحد الله أو أنه تفسير له.) يعني: «فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ربّما «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تكون هي: تفسير لتوحيد الله، أو هي زيادة على ذلك (لكن وردت السنة بأنه يكبر ثلاث تكبيرات ولكنه ليس كتكبير الجنازة كما يتوهم بعض العامة حيث يقول الله أكبر بيديه يشير بها كما يشير بها في الصلاة هذا خطأ. لكن يرفع يديه ويكبر ثلاثًا ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.)

إذًا: يرفع يده اليمنى -كما مرّ معنا- ويكبّر ثلاث تكبيرات، ويقول هذا الذّكر العظيم.

نعود مرّة أخرى للحديث:

---

(١) الحج: ٦٢.

يقول جابر، -رضي الله عنه-: «حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

قال الشّيخ: (وقوله: « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ») يعني: الآن يشير إلى معنى: «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» بعدما أشار إلى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يعني: لا إله حقّ إلّا الله، كلّ أحد غير الله باطل.

(« وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وحده تأكيد للإثبات و « لَا شَرِيكَ لَهُ » تأكيد للنفي واستفدنا توحده بالملك من تقديم الخبر).

يعني: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تدلّ على التّوحيد، «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» أيضا تدلّ على التّوحيد.

«لَهُ الْمُلْكُ» أيضًا تدلّ على التّوحيد، من أيّ وجه؟ أصل الكلمة: (الملك له) والشّيخ هنا يذكر القاعدة: (لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.) (الملك له) حين قدّمنا «لَهُ الْمُلْكُ» فصار له الملك وليس لغيره، يعني: له وحده. مثل فيما اشتهر: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1]، هي: نعبدك، لكن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: نخصّك بالعبادة.

---

(١) الفاتحة: ٥.

وهذا واضح في كلام العرب وضوحًا تامًّا؛ فالعرب كلامها مُعْرَبٌ. مُعْرَبٌ بمعنى ماذا؟ بمعنى: أنّه يُقدَّمُ ويُؤَخَّرُ لمصالح وأنت تفهم من خلال الإعراب، من خلال الحركات، تفهم أين الفاعل؟ أين المفعول به؟ فحين يُقدَّمُ ويُؤَخَّرُ؛ تعرف عندها مَنِ الفاعل مِنَ المفعول به؟ تعرف أين المبتدأ؟ وأين الخبر؟ الأصل في الجملة المبتدأ بعده الخبر، الأصل في الجملة أوّلًا الفعل وبعده الفاعل وبعد ذلك المفعول به.

لو قُدّم الفاعل على الفعل؟ أو المفعول به على الفعل والفاعل؟ هل سيحصل عندك إشكال؟ لا، الإعراب يعني: الحركة ستبيّن لك: من هو الفعل؟ ومن هو الفاعل؟ ومن المفعول به؟

لماذا تقدّمون؟ التّقديم، التّأخير، كلّ هذا يعطي معاني، يؤثّر على المعنى: الملك لله، أو الملك له -سبحانه- نقول: «لَهُ الْمُلْكُ» إذًا: خصّ المتكلّم الله بالملك، فـ (تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.) هذه من الفوائد، وهناك فوائد أخرى.

نأتي لكلمة: «الْمُلْكُ» الآن: هذه الجملة دلّت على التّوحيد، بقي معنى «الْمُلْكُ»:

قال: (يشمل ملك الذوات أي الأعيان وملك التصرف) كلّ ذات، كلّ شيء تراه شيئًا فهو: ملك لله: أنت، وسمعك، وبصرك، قلبك، بدنك، بيتك، ولدك، أجهزتك، أثاثك، الأنعام، الأرض الّتي تمشي عليها، السّماء، الأبراج الّتي يسكنها النّاس، البيوت الّتي يعيشون فيها كانت في

حضر أو في بدو، كلّها هذه الأعيان ملك لله؛ ثمّ التّصرّف فيها أيضًا ملكًا لله، والله -سبحانه وتعالى- مالك لكلّ ما في السّماوات والأرض.

وهذا في التّفكّر يكون مادّة جميلة جدًّا أن نتعايش معها: أنّه نبقى نرى الأشياء الّتي حولنا، ونقلعها، نقلعها من نفوسنا: حتّى نحملها ونضعها في مكانها؛ نفكّر، ونفكّر: من وهب لنا العلم؟ من وهب لنا الأجهزة؟ من وهب لنا هذه أدوات الحضارة الّتي نعيشها؟ من وهب لنا هذه المبرّدات الّتي تبرّدنا؟ من تكييف؟ ومن ثلاّجات؟ ومن كلّ أمر سَهُلَتْ به الحياة؟ الله! الله! فحين يأت أحد يقول: (الحضارة سهّلت على البشريّة الحياة)! من الحضارة؟! ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[1]؟! الله مالك الملك وله التّصريف. يأت أحد يقول: (لا! لكن نحن ننسبها لهم نسبة تعريف)! وهذا من الكذب على النّفس؛ فإنّ نسبة التّعريف تستلزم منك أن تعرف الشّيء، يعني: تعرفه معرفة حقيقيّة، فعد إلى تاريخ كلّ اكتشاف!

أنا لن أقول كلّ اكتشاف؛ عد إلى تاريخ أهمّ الاكتشافات الّتي أثّرت على النّاس، وكما يقولون: حسّنت حالتهم، وانظر كما يعبّرون هم: كم للصّدفة من دور! كم للصّدفة من دور في اكتشاف كلّ هذه الأشياء! وهذه الصّدفة الّتي هم يسمّونها صدفة؛ نحن نسمّيها: أرزاقًا، وتهيئة، وأسبابًا، سبّبها المتصرّف في الكون، فـ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]، وخرج الإنسان الكافر الّذي ستر شيئًا هو عاشه! لأجل أن تفهمي جيّدًا: ما هو الكفر؟ يعني: هو بنفسه في أصل شأنه؛ يعرف أنّ هذا الأمر جاءه

(١) النمل: ٦٠.

(٢) العلق: ٥.

هبة! وُهِبَهُ هِبَةً! ومع ذلك أن يعرف هذا الشّيء أو يطوّره؛ وَهَبَهُ الله إيّاه هِبَةً، فهو يعرف أنّها كأنّها أبواب تُفتح له وهو يسير في داخلها! وهذا وصف قد وصفه أحدهم رغم كفره، لكنّه وصف! أنا ما أذكر الآن هو من فيهم؟ واخترع ماذا؟ لكن كأنّه يصف أنّ هذا الاختراع الّذي اخترعه كان كأبواب مغلقة ففُتح الباب الأوّل، يعني: هو طرقه ففُتح له - يصف نفسه بهذه الطّريقة- ثمّ قدم عند الباب الثّاني، فقبل أن يطرقه فُتح له، والثّالث، والرّابع، حتّى تمّ له الاكتشاف! وهذا وجدته في كلام طبيبة مسلمة كانت تتكلّم عن مرض معيّن، وتقول: أنّ الأطبّاء لو ذهبت لهم في مرض معيّن؛ يقولون لك: (لا دواء)! وهي تقول: (لكنّهم يخطؤون؛ فإنّ هذه الكلمة لابدّ لها من ضابط: أنّه لا دواء نعرفه) فكانت دائمًا تقول لمرضاها: (إنّ هذا المرض لم يعلّمنا الله بَعْدُ علاجًا له!) وهذه كلمة عظيمة في داخل تيّارات العلمانيّة، واللّبراليّة، والكبر الّذي يعيشه أصاغر هؤلاء! وليس حتّى أكابرهم؛ وإنّما أصاغرهم! يعتقد أنه عرف في هذا الفنّ فليس مثله أحد ويظنّ أنّه يتصرّف! والملك كلّه لله فهو مالك الأعيان، ومالك التّصرّف في الأعيان، لا شريك له في ملكه ولا في تدبيره، آمنّا بالله!

بقي أن نفكّر ونحرّك هذا في التّفكير حتّى يقع في مكانه: فكلّ شيء يكون منسوبًا لفعل الله على وجه التّفصيل.

(وقوله: « وَلَهُ الْحَمْدُ » يعني أنه يحمد على كمال صفاته وعلى كمال إنعامه و إحسانه وكذلك على كمال تصرفه وأفعاله.)

إذًا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» يُحمد الله على ماذا؟ كما مر معنا في سورة الفاتحة؛ يُحمد على كمال صفاته، وعلى كمال إنعامه وإحسانه، ويُحمد أيضا على كمال تصرّفه وأفعاله في مُلكه؛ فنحن نحمده:

- على ما له -سبحانه وتعالى- من كمال صفاتٍ.
- وعلى ما نرى من جميل الإنعام.
- وعلى ما نشهد على كمال تصرّفاته، وأفعاله، وموافقتها للحكمة، والرّحمة.

(وأعقب به قوله «لَهُ الْمُلْكُ» ليفيد أن ملكه ملك يحمد عليه) أي أنّ الله يُحمد على مُلْكِهِ (فما كل من ملك شيئًا وتصرف فيه يحمد على تصرفه لكن الله -عزّ وجلّ- يحمد على ملكه وتصرفه.)

(وقوله: «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» كل شيء فالله تعالى قادر عليه إن كان موجودًا فهو قادر على إعدامه وتغييره وإن كان معدومًا فهو قادر على إيجاده.)

سبحانه وبحمده على كلّ شيء قدير!

وهذا كما مرّ معنا: اعتقاد أنّ الله على كلّ شيء قدير، يضعف عند النّاس بسبب وسواس الشّيطان؛ فإنّ النّاس سريعي اليأس من صلاح أنفسهم، من صلاح أبنائهم، من صلاح أوضاعهم، والله على كلّ شيء قدير! وأعجب ما في قدرة الله: الألطاف! فإنّ شأنًا يتمّ بعد سنين، يعني: تراه بعد سنين -أنت صاحب الأمر الآن- تمّ بعد سنين خمس أو ستّ

سنوات أصبح صاحب مثلا -دعونا نفترض- شركة كبيرة. طبعًا إذَا كنت ستمشي على تفكير الرّأس ماليّة، واللّيبراليّة، والعلمانيّة، وهذه الخلطة، وبعد ذلك يأتون يتقابلون معك؛ ستقول: (بجهدي! وتعبي! وسهرت اللّيالي!).

وإذَا كنت صادقًا مع نفسك، ماذا ستقول؟ ستقول: (والله لا أدري: كيف دبّرني الله؟ وكيف كانت ألطافه؟ وكلّ فترة أفكّر: كيف كنت قبل خمس سنوات وكيف أنا اليوم؟! ما أدري من أين لي هذا؟! لكنّي أعترف: بنعمة الله، وأعترف: أنّ الله على كلّ شيء قدير) وهذا من أعجب أنواع الذّكر! يعني: إذَا قلت: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وأنا لا أقصد هنا على الصّفا؛ أقصد: عموما في أذكارك، ثمّ أتيت بشواهد؛ تقول: (وأنا أشهد: أنك على كلّ شيء قدير، فأنت الّذي خرّجتني من الجهل إلى العلم، وأنت الّذي رزقتني صحبة صالحة، وأنت الّذي وهبتني محبّة النّاس، وأنت الّذي رزقتني عقلًا يفهم، ومثلًا: وقلبًا يدرك، ولسانًا ينطق بالحقّ، وقلمًا يكتب، أنت الّذي دبّرتني، وليّنت القلوب، وكنت وكيلي في كلّ شأن، وكنت خليفتي على الأهل، وأنت الّذي ما دعوتك إلّا أعطيتني، وما رجوتك إلّا ما خيّبتني، أنا أعلم: أنّك على كلّ شيء قدير، كيف وأنّ هذا البيت الّذي أعيش فيه ما كنت أظنّ أنّي آتي إليه ولا في أحلامي؛ ثمّ تهبني إيّاه! وصلاح هؤلاء الأبناء ما كنت أظنّ أن آتي به وأنت تصلحهم! إنّك على كلّ شيء قدير! ما دعاك عبد وخيّبته، ما رجاك عبد ورددته، (فأنا أشهد): هذه

من الكلمات: أنا أشهد: أنّك على كلّ شيء قدير، أنا أشهد: أنّ لك الحمد في ملكك وتصريفك) نعوذ بالله من الشّيطان الّذي يُذهب عنّا، ويُنسينا فضل الرّحمن، ويدخلنا في اليأس والنّكران! نعوذ بالله! نعوذ بالله! نعوذ بالله! يعني: أكثر شيء يزعج المؤمن أن يرى يائسًا من روح الله! كيف تيأس من روح الله؟! ألم تسمع: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]؟! كيف تكفر نعمة الله؟! وقد نجّاك وأعطاك وآواك! الله المستعان!

قال الشّيخ:

(وقوله: «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» كل شيء فالله تعالى قادر عليه إن كان موجودًا فهو قادر على إعدامه وتغييره وإن كان معدومًا فهو قادر على إيجاده.)

وأنتم تفكّروا في هذه المسألة، وانظروا: انحراف في أبناء، ضياع، موجود، الله قادر على أن يُعدمه ويُغيّره، أو شيء معدوم الله قادر على إيجاده.

(والقدرة: صفة يتمكن بها من الفعل بدون عجز وهي أخص من القوة من وجه وأعم من وجه.).

يقارن الآن الشّيخ بين القدرة والقوّة: (والقدرة: صفة يتمكن بها من الفعل بدون عجز) فالله على كلّ شيء قدير، يعني: الّذي ما يُعجزه شيء.

---

(١) يوسف: ٨٧.

والقدرة (أخص من القوة من وجه وأعم من وجه. لأن القوة يوصف بها من له إرادة ومن لا إرادة له فيقال: حديد قوي وإنسان قوي.

وأما القدرة فلا يوصف بها إلا من كان ذا إرادة فيقال: (الإنسان قدير) ولا يقال: (الحديد قدير) لكن القوة أخص لأنها قدرة وزيادة ولهذا نقول: كل قوي ممن له قدرة فهو قادر ولا عكس.)

يعني: القادر لابدّ أن يكون قويًّا، عنده إرادة وعنده قوّة.

ربّي يرزقنا طالبات علم، يستخرجن الفوائد، وينشرنها، يعني: كلّ في بابه لأنّه كلام جميل جدًّا، وهو في غير مظانّه؛ هذا شرحه الشّيخ في الواسطيّة، وشرحه بإسهاب، لكن هنا شرحه باختصار وبوضوح، وهو في غير مظانّه؛ يعني: مُتَصَوَّر أن يُشرح في العقيدة.

(وقوله: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ » كرر ذلك) لأنّ الدّعاء ابتدأ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ»؛ فمرّة أخرى كرّر ذلك: (لأن باب التوحيد أمر مهم ينبغي تكراره ليثبت ذلك في قلبه وهو مع ذلك يؤجر عليه.)

يعني: هناك فائدة من التّكرار:

- الأجر المرتّب على قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».
- والعقيدة الّتي يحصل ثباتها بالتّكرار.

(وقوله: «أَنْجَزَ وَعْدَهُ» يعني: بنصر المؤمنين فأنجز للرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ما وعده)

ويُقصد: هذه الآية الّتي في سورة الفتح، بمعنى: دخولهم للمسجد الحرام.

(وقوله: «وَنَصَرَ عَبْدَهُ» هذا اسم جنس يشمل كل عبد من عباد الله قائم بأمر الله فإنه منصور) واستشهد: بآية غافر: (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾[1].) فنصر العبيد؛ نصر لكلّ عبد من عباد الله قائم بأمر الله، فليبشر أنّه منصور.

إذًا: «أَنْجَزَ وَعْدَهُ»: أنجز للرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، «وَنَصَرَ عَبْدَهُ»: كلّ العباد: الرّسل، وكلّ قائم بأمر الله.

(وقوله: « وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » الأحزاب جمع: حزب. وهم: الطوائف الذين تحزبوا على الباطل وتجمعوا عليه)

يعني: في كلّ زمان. «وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» كما استشهد بآية الصّفّ: (﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾[2]. فهزمهم الله وحده) وهذا في كلّ زمان؛ كلّ من تحزّب على الباطل وانتفش؛ الله يهزمه وحده، يزلزل الأرض من تحته، ويفسد عليه ملكه وسلطانه، ويشتّت عليه أفكاره حتّى تراه ينهار، ينهار مثل هذه القوّة في غمضة عين. والّذي عاش مجد الاتّحاد السوفياتي ورأى الشّيوعيّة الحمراء، الّتي ضربت بالنّار والحديد،

(١) غافر: ٥١.

(٢) الصف: ٨.

ودخلت إلى قلب صلب العالم الإسلامي، وكوي بها المسلمون، إن كان في اليمن، وإن كان في مصر. والله المستعان!

طبعا أنا أضرب مثالًا باليمن ومصر لأنّهما أشهر مثلين، لكن لا يعني أنّها ما دخلت إلى غيرهم! دخلت وتوسّعت، وأصبح لهذا الحزب مكانة عظيمة. بمعنى: اليوم نحن نشتكي من اللّيبراليّة والعلمانيّة؛ بينما كانت الشّيوعيّة من قبل في أعين أفظع؛ وإلّا فإنّها والرّأس ماليّة متساويتان؛ إلّا أنّ الإجرام في الشّيوعيّة واضح ظاهر، الإجرام في الرّأس ماليّة ناعم وله أشكاله الجذّابة، وله أسماؤه، يعني: كانوا كأنّ أهل الشّيوعيّة أغبياء مقابل أهل الرّأس ماليّة.

الشّاهد: أنّه ما كان يظنّ ظانّ في ذاك الزّمان أن تنهار هذه، والّذي عاش انهيارها؛ يعرف أنّه قد أغمض عينيه وفتحهما وجدها تنهار! يعرف هذا! مهما كان متابعًا للأخبار لكن لا يستطيع أن يتذكّر أنّ هناك حدثًا كبيرًا حصل فانهار الاتّحاد السّوفياتي! لا! ليس هناك حدث كبير؛ وإنّما أحداث جُمّعت، وجُمّعت، فانهار! والرّأس مالية ستنهار وستزول، لكن هل سيعود الإسلام؟ الكلام هنا على أهل الإسلام!

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن نكون شهداءه في الأرض في هذا الزّمان، وأن نُحيي ما نستطيع في قلوب النّاس: من الإقبال على الآخرة، والإيمان بالغيب، وردّ الشّأن إلى ربّ العالمين.

على كلّ حال؛ الحجّ رغم ما فيه من بعض الأمور المزعجة الّتي تظهر من المسلمين، ولا أقصد هنا أنّهم يؤذون، أو مثلًا: على من يتكلّم عن نظافتهم. لا! لا! لا أقصد هذا؛ لكن ظهور البدع! وظهور أنواع من الشّرك! وقلّة حياء النّساء! وهذه ليست مسبّة؛ وإنّما أقصد أنّهم تربّوا في مجتمعات صعب جدًّا وصف الأحوال الّتي يمرّون بها مساكين، يعني: المرأة والرّجل يتكلّمان ويتلامسان، وأنت تقولين: (هذا أكيد زوجها!) ثمّ بعد قليل يتبيّن لك أنّه لا سيأتي زوجها! ممكن يكون أخاها! ممكن كذا! يعني: الأحد يقول هذا الكلام، ثمّ يتبيّن لك بعد قليل أنّها تودّعه: (يا أستاذ فلان، أو كذا)! فتأتيك صدمة أنّها هي من المؤكّد وهي حاجّة أنّها لا تريد لفت نظر الرّجال! أكيد! أكيد! هم ليسوا في مكان يسمح بذلك! لكن هكذا عمّ البلاء ديار المسلمين، وهو يزحف على كلّ الدّيار؛ ليس هناك أحد الآن يُستثنى من ذلك! هذا الأمر زاحف على كلّ ديار المسلمين! فالله المستعان! وعليه التّكلان! نسأل الله أن يرينا نصرة الدّين، الله يرينا نصرة الدّين، الله يرينا نصرة الدّين، الله يكشف عنّا الغمّة، ويجعلنا سببًا في كشفها يا ربّ!

نعود إلى: «وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»: (ومثال على ذلك قصة الأحزاب الذين تجمعوا لحرب النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وحاصروه في المدينة وهم نحو عشرة آلاف نفر ومع ذلك هزمهم الله وحده) آمنّا بالله! (أرسل عليهم ريحًا وجنودًا فقلقلتهم حتى انهزموا.) وهذا المثال الّذي في سورة

الأحزاب؛ فليكن لنا مُعتَبَرًا! وكلّ النّاس الّذين يرونهم، والحضارات الكبيرة.

سيهزمهم الله، وسيعودون متقلقلين، كما عاد وتشتّت الأحزاب.

قال الشّيخ:

(وهل المراد بهزيمة الأحزاب في قوله «وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ما جرى في عام الخندق أو ما هو أعم !؟ نقول ما هو أعم.).

هنا يظهر سؤال؛ أراه سؤالًا مهمّا: لماذا على الصّفا يقول النّبيّ -صلّى الله عليه سلّم- هذا الأمر؟ ولماذا يهلّل، ويقول: «أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»؟ لماذا على الصّفا؟ في الصّفا هنا! في الصّفا وقف النّبيّ -صلّى الله عليه سلّم- ونادى قومه، وبلّغهم أوّل تبليغ الرّسالة حين أُمر بالبلاغ، وهو واحد، وهم قوم، منهم الصّناديد الأقوياء في رأيهم، الأشدّاء في عنادهم؛ فيعتدون عليه ويكون من بينهم عمّه!

والرّجل في العرب يشتدّ بعمّه، ويُنادى، يعني: العرب من كثرة ما يرون الأعمام قوّة؛ يُنادى الرّجل باسم أبيه، ويُنادى الرّجل باسم عمّه، من كثرة ما يرون أنّ العمّ هذا له ثُقله! لأنّهم يقولون؛ (بنو فلان! بنو فلان!)

ويقول له: «أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ»[1]؛ فعلى الصّفا يقول رسول الله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»؛

(١) أخرجه البخاري (٤٦١٥) متن الحديث: ((عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنّ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ، فَنَادَى يَا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: " أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي ؟ قَالُوا:

كلّ من تحزّب على الحقّ؛ سيهزمه الله! «وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»! يأتي مكّة، ويطوف في البيت، ويعتلي الصّفا والمروة، حاجًّا بيت الله، ويقول:

«هَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ليس بخطّة عسكريّة، ولا بتكتيك، ولا بتنظيم، ولا بغيرهم! «هَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» وهذا ما يطمئن قلوبنا.

نسأل الله أن يشتّت شمل الأعداء، ويُذهب عنهم كلّ قُواهم، ويحفظ على المسلمين دينهم وعقيدتهم، اللّهمّ آمين.

(وقوله: « ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » يعني قال هذا الذكر ثم يدعو ثم يقوله مرة أخرى ثم يدعو ثم يقوله مرة ثالثة) يعني: ثلاث مرّات الذّكر وما بينهما الاثنين الدّعاء كما هو مشهور؛ لأنّه قال: («ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ» والبينية تقتضي أن يكون محاطًا بالذكر من الجانبين فيكون الدعاء مرتين والذكر ثلاث مرات.)

والحمد لله الأمر واضح جدًّا.

(وقوله: « ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ » أي مشى إلى المروة متجهًا إليها. والمروة هي الجبل المعروف بقعيقعان[1] وهما جبلان معروفان في مكة)

بالضمّ هي، ثمّ بالفتح: (قُعَيْقِعَانَ) وقد سُمّي بذلك لأنّهم حين تحاربوا قَعْقَعَت الأسلحة فيه.

نَعَمْ، قَالَ: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ "، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ سورة المسد آية ١ إِلَى آخِرِهَا ».

(١) قعيقعان: بالضم ثم الفتح بلفظ تصغير: وهو اسم جبل بمكة قيل إنما سمي بذلك لأن قطوراء وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه، وعن السدي أنه قال: سمي الجبل الذي بمكة قيقعان لأن جرهم كانت تجعل فيه قسيها وحرابها ودرقها فكانت تقعقع فيه، والواقف على قيقعان يشرف على الركن العراقي إلا أن الأبنية قد حالت بينهما. معجم البلدان ٤/ ٤٣٠.

عل كلّ حال، هناك برنامج جميل عن جبال مكّة، تقدّمها قناة تُسمّى "قناة مكّة"، وقد ذكروا تاريخيًّا أسماء الجبال، وقصصها التّاريخيّة، فهو مفيد لمن يحبّ أن يتعرّف على ذلك، وهي أرض محبوبة، وكلّ ما فيها يُحبّ؛ وحين تتعرّفين على الجبال ستعرفين أنّ كثيرًا من الأسماء بل غالبها الموجودة اليوم؛ إنّما هي أسماء سلفيّة، يعني: جبل عمر -مثلًا- وهذا فيه أقوال لماذا سُمّي جبل عمر؟

إلّا أنّ المناطق الجديدة مثل العزيزيّة، وغيرها؛ هذه نعم، حديثة؛ فالعزيزيّة سُمّيت بالملك عبد العزيز -رحمه الله- حيث أنّه ما أراد التّضييق على النّاس قريبًا من الحرم، فاتّخذ بيوتًا هنا في هذه المنطقة، منطقة العزيزيّة؛ ثمّ كان بعيدًا الوصول من الحرم إلى العزيزيّة، ثمّ جزاهم الله خيرًا بعد سنين حفروا هذه الأنفاق فأصبح الوصول إلى منى أيسر ما يكون - الحمد لله ربّ العالمين -.

(وقوله: «ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ» أي مشى إلى المروة) «نَزَلَ» يعني: مَشْيًا، (متجهًا إليها.) فأصبحا الآن هذان جبلان متقابلان: أبو قُبَيْس و قُعَيْقِعَانَ.

(وقوله: «حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى» بطن الوادي هو مجرى السيل ومكانه) الآن (ما بين العلمين الأخضرين الآن وكان في عهد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- مسيل المياه النازلة من الجبال.) لأنّ وادي، جبل أمامه جبل، وهذا يُعتبر واديًا. (وقوله: «سَعَى» أي: ركض ركضًا شديدًا) هنا فيه الرّكض (حتى إن إزاره لتدور به من شدة السعي.)

-صلّى الله عليه وسلّم- (وقوله: «حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا» يعني ارتفع عن بطن الوادي «مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ» وإنما فعل ذلك) كما هو مشهور (اقتداءً بأم إسماعيل -رضي الله عنها- فإن أم إسماعيل لما وضعها إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- هي وولدها في هذا المكان وجعل عندهما ماء وتمرًا فجعلت الأم تأكل من التمر وتشرب من الماء وترضع الطفل فنفد التمر والماء وجاعت الأم وعطشت ونقص لبنها فجاع الطفل فجعل الطفل يصيح ويتلوى من الجوع فأمه من أجل الأمومة رحمته وخرجت إلى أدنى جبل إليها تستمع)

سبحان الله! انظروا: ليس هناك يأس! يعني: يدفعها بكاؤه أن تتصرّف، فذهبت إلى هذه الجهة، وخرجت إلى أدنى جبلٍ، إلى أقرب جبل إليها تستمع (لعلها تسمع أحدًا أو ترى أحدًا فصعدت الصفا وجعلت تستمع وتنظر) وانظر: هي امرأة وتصعد الصّفا! (فلم تجد أحدًا فرأت أقرب جبل إليها بعد الصفا المروة فاتجهت إليه تمشي وهي تنظر إلى الولد فلما نزلت بطن الوادي احتجب الولد عنها) طبعا لأنّها أصبحت بالأسفل وهو في الأعلى (فجعلت تركض ركضًا شديدًا) -رضي الله عنها-، (من أجل أن تلاحظ الولد فلما صعدت من المسيل) يعني: مكان الوادي الّذي يسيل فيه الماء (مشت حتى أتت المروة ففعلت ذلك سبع مرات وهي في أشد ما تكون من الشدة لا بالنسبة إليها جائعة عطشى فقط ولا بالنسبة إلى الولد فقط) يعني لو نظرنا إلى هذا: هي جائعة وعطشى، وولدها تخشى عليه الموت، والخوف، (وعند الشدة يأتي الفرج) وهي

أخذت بالأسباب، وقلبها معلّق بالله (فبعث الله -عزّ وجلّ- جبريل) عليه السّلام (فضرب بعقبه أو جناحه الأرض في مكان زمزم فنبع الماء بشدة) وسمعت طبعًا أم إسماعيل صوت الماء، فعادت (فجعلت أم إسماعيل تحجر الماء تخشى أن يضيع من شدة شفقتها قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينًا معينًا. ولكن لا شك أن هذا من حكمة الله -عزّ وجلّ- ووجه ذلك أنه لو كانت عينًا معينًا في هذا المكان وقرب الكعبة لصار فيها مشقة على الناس) لو كانت عينًا، يعني: تجري (ولكن من نعمة الله -عزّ وجلّ- أن صار الأمر كما أراد الله تبارك وتعالى.

لكنها حجرتها ثم شربت من هذا الماء فكان هذا الماء طعامًا وشرابًا و جعلت تسقي الولد والحديث ذكره البخاري مطولًا[1] فهذا أصل السعي كما قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فلذلك سعى الناس.)

وبقيت هذه السّنّة لأمّ إسماعيل مشهورة.

ولذَا حين تلحظون في سورة البقرة: أنّ آية: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2]؛ يسبقها الكلام عن البلاء، وكيف أنّ الله -عزّ وجلّ- أقسم أنّه سيبلونا: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) البقرة: ١٥٨.

رَّبِّهِمْ﴾[1] كلّ هذا الخبر عن الابتلاء أتى بعده: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ فيُفهم من الاقتران، ومن التّتابع: أنّه انظر إلى مصيبة أمّ إسماعيل، -رضي الله عنها-، وسلّم على إسماعيل؛ زوج يتركها! وأرض قَفْرَا! وشدّة عليها! والشّدّة تهون لو كانت على الإنسان، على المرأة تهون؛ أهون من أن ترى رضيعها يكاد يموت، لكن أصابها نقص في المال، وكاد يصيبها نقص في النّفس، وأصابها نقص في الثّمرات، فصبرت وقبلت، وأخذت بالأسباب، فكانت آية إلى قيام السّاعة! وهاهم المسلمون بأعدادهم العظيمة يسعون بين الصّفا والمروة -سبحان الله- وهاهم المسلمون من زمان إبراهيم إلى اليوم وهم يشربون من هذه زمزم الّتي بقيت آية!

قال الشّيخ:

(والمهم أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لما انصبت قدماه في بطن الوادي سعى من أجل أن الناس إنما سعوا من أجل سعي أم إسماعيل.).

انتهى الوقت، لكن أقف عند مكان يسهل علينا غدا أن نبدأ منه.

(وقوله: « فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا » لم يذكر جابر -رضي الله عنه- ماذا يقوله الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- في بقية سعيه ولكن قد بين النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن السعي لذكر الله فقال: «إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر

(١) البقرة: ١٥٥_١٥٧.

الله»[1]. فأي ذكر تذكر الله به فهو خير سواء بالقرآن أو بالتسبيح أو بالتهليل أو بالتكبير أو بالتحميد أو بالدعاء فأي شيء تذكر الله به فإنك قد حصلت على المطلوب.

وهل ينافي ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ الجواب: لا، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الذكر لأنه تذكير للخلق بما شرع الله لهم.)

يقصد الشّيخ: وأنت ماشٍ في المسعى؛ وجدت خطأ، وجدت أمرًا يحتاج أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، يعني: كثيرًا ما يصير مثل هذا: اليوم بلوة التّصوير، بلاوي كثيرة! -الحمد لله على البلاء! - فإذَا - والكلام الآن للمرأة -: فإذَا كانت امرأة مثلك، وكان يسيرًا أنّك تأمريها بكلّ لطافة فجزاك الله خيرًا، وإذَا كان هذا الأمر صعبًا أو كانوا هم رجال ونساء مختلطون، فتتكلّمين مع المرأة يتصدّر لك الرّجل! وحين يكونون جماعة فإنّهم يتقوّون بعضهم بعضًا! فالإنسان يختار الوضع المناسب ويدعو ربّنا أن يقبل منه.

على كلّ حال: (وقوله: « فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا » يعني من الصعود والدعاء) مثلما فعل على الصّفا فعل على المروة (فعل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ذلك سبع مرات فلما كان آخر طواف على المروة) فوصل إلى المروة آخر شيء، ستكون هذه المرّة الثّامنة لو دعا، لكنّه ما دعا، ولا ذكر؛ إنّما (نادى وهو على المروة وأمر الناس من لم يسق الهدي

(١) أخرجه أبو داود في المناسك (١٨٨٨).

منهم أن يجعلوا نسكهم عمرة) فهنا في هذا الموقف، يعني: في المروة، علّمهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- شيئًا لم يكونوا يعرفوه سابقًا، ما كانوا يعرفون إلّا الحجّ، فقال لهم: طفتم؟ وسعيتم؟ مادام لم تسوقوا الهَدْيَ، فالآن حوّلوا طوافكم وسعيكم إلى عمرة، لكن الّذي معه الهَدْيَ لابدّ أن يكون بالغ الكعبة؛ لابدّ أنّه لا يتحلّل إلّا إذَا ذبح الهَدْيَ، طبعًا ذبح الهَدْيَ معروف زمانه.

(فجعلوا يراجعون النبي -صلّى الله عليه وسلّم- حتى قالوا: الحل كله يا رسول الله) يعني يقصد: النّساء (قال: الحل كله) فكأنّهم استعظموا أن يحصل هذا منهم (قال: افعلوا ما آمركم به فلولا أن معي الهدي لأحللت معكم فأحلوا -رضي الله عنهم-. أما النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ومن ساق الهدي فلم يحلوا)

وهم عدد محدود من الصّحابة، منهم عليّ -رضي الله عنه- منهم أبو بكر -رضي الله عنه- يعني: عدد محدود من الصّحابة فعل هذا، أقصد: ساقوا الهَدْيَ (ثم نزلوا بالأبطح[1])

والأبطح مسافة بين مكّة ومنى، وهو ربّما إلى منى أقرب، واليوم يسمّونه: مُحَصَّب.

(فلما كان يوم التروية خرجوا إلى منى فمن كان منهم باقيًا على إحرامه فهو مستمر في إحرامه ومن كان قد أحل أحرم بالحج من جديد.).

(١) الأبطح: بالفتح ثم السكون وفتح الطاء والحاء المهملة هو كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينها واحدة وربما كان إلى منى أقرب وهو المحصب .. معجم البلدان ٥٦/١.

جزاكم الله خيرًا

ألقاكم غدًا وأنتم في خير حال

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء السّادس

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ها هو صباح يوم جديد من هذه العشر المباركة، وها هي تتسارع كالعادة، فقد وصلنا إلى اليوم الخامس، فانتصفت علينا العشر، فنسأل الله أن يعطينا من الحول والقوّة ما ننتفع به في باقي هذه الأيّام.

وكما هو معلوم في سنّة الله الشّرعية: أنّ آخر كلّ موسم خير من أوّله، وهذا الموسم سيكون التّاسع فيه، يوم عظيم عند الله للحجّاج ولأهل البلدان، ويوم العاشر أيضًا يكون أعظم منه، فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن يبلّغنا أن نغتنم هذه الأيّام المباركات؛ سواء كنّا حُجّاجًا، أو من أهل الدّيار، نسأل الله أن يتمّم حجّنا، ويوفّق أهل الدّيار إلى الطّاعة صغارًا وكبارًا، اللّهمّ آمين.

هذا لقاؤنا السّادس في "شرح حديث جابر -رضي الله عنه- في حجّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-" وكنّا وصلنا إلى أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- انتهى من السّعي، ووقف عند المروة ونادى على أصحابه، وهذا ليس في رواية جابر؛ إنّما هذه في رواية في "سنن أبي داود"، نادى على أصحابه، فأمرهم أن يحلّوا، وكان من الصّحابة أنّهم راجعوا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- استحياء من كونهم يحلّون كلّ الحلال، وهم في النّسك

ويذهبون إلى منى وهم لازالوا حلالًا، فبيّن لهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأمرهم أن يحلقوا ويفعلوا ما أمرهم به، أن يقصّروا، يعني يخرجون من عمرتهم؛ لأنّهم أصبحوا متمتّعين.

فهنا للحاجّ المتمتّع الرّجل: أن يقصّر ولا يحلق في هذا الموطن؛ لأنّ هذا هو النّسك الأصغر، النّسك الأكبر يحلق فيه، حين نصل إلى منى، وبعد ذلك إلى عرفة، ومزدلفة، ثمّ العودة؛ التّحلّل يكون وقتها بالحلق.

المهمّ أنّه أمر أصحابه الكرام أن يخرجوا من نُسكهم فيجعلوه عمرة. وقال لهم - الآن هذه الجملة أتت في كلام جابر -رضي الله عنه-:

«لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً»[1].

لأنّه ما الّذي منع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من أن يجعلها عمرة؟ أمر الله -عزّ وجلّ- لمن ساق الهدي ألّا يحلّ ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾[2]، لكن عدد قليل كما تبيّن لنا من الصّحابة الكرام كان معهم الهدي؛ الباقي الغالب فيهم أنّهم كانوا متمتّعين. طبعًا هم لم يأتوا متمتّعين؛ هم أتوا بغرض الحجّ، فطافوا، وسعوا، فكانت هذه عمرتهم. وقتها أمرهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يحوّلوا نيّاتهم إلى التّمتّع، وقال لهم: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ»؛ لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- سيصبح على نسك، وهم على نسك؛ وهم لا يحبّون أن

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) البقرة: ١٩٦.

يخالفوه؛ يحبّون أن يفعلوا بالضّبط ما فعل، وهذا من تمام اقتدائهم، فقال لهم هذه الجملة المشهورة.

فيسأل الشّيخ:

(هل يقال أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- تمنى خلاف الواقع أو يقال إن هذا خبر مجرد؟)

حين قال: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ»؛ (الجواب: الثاني. فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- لم يتمنَ لأنه يعلم أن هذا هو الأفضل -أعني قرانه- لكنه قال للصحابة -رضي الله عنهم- هكذا لتطيب نفوسهم ويحلوا برضى.)

وفي هذا حكمة عظيمة، حين تنظرين للأمر: ستجدين أنّ كلّ النّسك الثّلاثة غير مهجورة، فالتّمتّع قد أخبر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن فضله، وأمر الصّحابة به، والقران فَعَلَهُ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، معنى هذا: طبعًا والحجّ مفردًا، هذا هو الأصل في الحجّ؛ في الأصل الحجّ إفراد أنّ الإنسان يأتي ليحجّ فقط، هذا الأصل في الحجّ؛ فنسك التّمتّع، ونسك القران، أصبحا الآن غير مهجورين؛ لأنّ القران فعله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، والتّمتّع أمر به أصحابه. فالحمد لله كلّه خير.

يقول جابر:

«فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ» سُراقة، لا تنسوه، «فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه

وسلّم- أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ»

هذه الجملة من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يجيب فيها على سراقة وسؤاله في دخول العمرة في الحجّ. لا تنسوا أنّ هؤلاء عرب، وكانوا يحجّون سابقًا، وكانوا لا يعرفون أبدًا دخول العمرة في الحجّ؛ إنّما العمرة عمرة، والحجّ حجّ. فسأله سُراقة سؤالًا: هل هذا لأنّنا معك في عامنا هذا وبعد ذلك تعود الأمور على ما كانت معروفة مشهورة؟ وإلّا الأمر خلاف ذلك؟ فبيّن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- دخول بعضها في بعض.

نقرأ كلام الشّيخ:

(وقوله: «فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ ؟» قوله «فَقَامَ سُرَاقَةُ» كان هذا عند المروة)

لأنّه مازال الموقف عند المروة، يعني بذلك: أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- نادى عليهم، وأمرهم أن يحلّوا، وحاوروه، فألزمهم بذلك فكان سؤال سراقة في هذا الموقف.

(والسياق الذي في صحيح البخاري[1] رحمه الله كان عند العقبة فما الجمع بينهما؟)

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٥) ولفظه " فأمر عبد الرحمن بن أبى بكر أن يخرج عائشة إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة وأن سراقة بن مالك بن جعشم لقي النبي صلّى الله عليه وسلّم بالعقبة وهو يرميها، فقال: ألكم هذه خاصة يا رسول الله ؟ قال: " لا بل للأبد" .

إذًا هذا خبر جديد: أنّ هذا السّؤال نفسه سُئِلَ عند العقبة، فيكون هنا السّؤال: ما الجمع؟ كيف نجمع بين الرّوايتين الّتي تقول أنّه عند العقبة سأل سُراقة وعند المروة؟

(نقول الجمع بينهما: ربما أن سراقة -رضي الله عنه- أعاد السؤال مرة ثانية إما لأنه نسي ما قاله عند المروة وإما لزيادة التأكد وهذا يقع.) خصوصًا في مسألة تُعتبر شائكة بالنّسبة لهم؛ لأنّ القوم ما عرفوا أبدًا دخول العمرة في الحجّ.

قال جابر -رضي الله عنه-:

«وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ -رضي الله عنها- مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ:» اسمعوا بقلوبكم ماذا قالت؟ «إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا» -صلّى الله عليه وسلّم-«إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ، بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ» ما أصدقهم -رضي الله عنهم-! «مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ:» -صلّى الله عليه وسلّم- «صَدَقَتْ صَدَقَتْ» يعني: على ابنته -رضي الله عنها- ثمّ سأل عليًّا: «مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ» يعني: أنّ عليًّا، -رضي الله عنه-، ليس على ما كانت عليه فاطمة -رضي الله عنها- وإنّما على ما كان عليه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-.

نقرأ ما قال الشّيخ في شرح هذه الجملة من الحديث:

(قوله: «وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ» أي وصل إلى مكة والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الأبطح. والسبب في ذهابه إلى اليمن لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أرسله إلى اليمن للدعوة إلى الله وأخذ الزكوات منهم وغير ذلك.) وهم الآن سبقوه، وصلوا مكّة، واعتمروا (وقوله: «بِبُدْنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-» أي ببعضها لأن بعضها جاء بها علي -رضي الله عنه- وبعضها جاء بها الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-) لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، قال إنّه ساق الهَدْيَ، فأكيد أنّه جاء به من المدينة، وعليّ أيضًا ساق جزء من هذا الهَدْيَ من اليمن.

(وقوله: «فَوَجَدَ فَاطِمَةَ -رضي الله عنها- مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا» أي ثوبًا جميلًا وكأنها متهيئة لزوجها -رضي الله عنهما-.

وقوله: «فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا» لأنهم لم يكونوا يعرفون العمرة في أشهر الحج.)

بل كانوا يُنكرونها أشدّ الإنكار، يعني: هذا الأمر لابدّ من فهمه لنتصوّر هذا الموقف: حتّى أنّه في بعض الأخبار عن الجاهليّة: أنّهم كانوا يرون العمرة في أشهر الحجّ فسق يعني: خروج عن المعهود؛ فكان هذا يتطلّب الإعادة، والزّيادة، والتّنبيه، والبيان.

(وقوله: «فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا» أي أخبرته أن أباها -صلّى الله عليه وسلّم- أمرها بهذا.

وقوله: «فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ» التحريش في الأصل التهييج والإغراء كما يحرش بين البهائم وكما يحرش بين الناس ولهذا يقال: حرش فلان على فلان. أي هيج غيره عليه وأغراه به.) لأجل أن يقع فيه. (فذهابه للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- لغرضين) ذهب عليّ إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لغرضين:

(الغرض الأول: التحريش على فاطمة -رضي الله عنها- لماذا تحل. والثاني: الاستفتاء هل عملها صحيح أو غير صحيح؟

وقوله: «فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: صَدَقَتْ صَدَقَتْ» يعني أمرتها بهذا وكرر ذلك توكيدًا لأن المقام يقتضي ذلك.

فقوله «صَدَقَتْ» أي فيما قالت أني أمرتها به.)

ويؤكّد لعليّ -رضي الله عنه-، دفاعًا عن ابنته، وهذا التّوكيد من ألطف المواقف في الدّفاع؛ فإنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أراد أن يبيّن لعليّ، -رضي الله عنه-، أنّها ما فعلت إلّا ائتمارًا؛ صدقت في قولها، وصدقت في فعلها، ووافقت ما أمرتها به. اللّهمّ صلّ وسلّم على نبيّنا محمّد، وعلى آل بيته، وعلى صحابته الكرام.

(وإنما أمرها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كما أمر غيرها لأنها لم تسق الهدي فحلت.

وقوله: «مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟» أي سأل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ماذا قال حين فرض الحج قال قلت: اللهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك)

يعني: فجعل نيّته في نُسكه، في نوع النُّسك، بما أهلّ به رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، يعني: مُعَلِّقًا بما هو عليه الرّسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

(قال: إن معي الهدي فلا تحلّ. ففي هذا دليل على مسألة خاصة بعلي -رضي الله عنه-، وعلى مسألة عامة للمسلمين.

أما المسألة الخاصة بعلي: فهو ذكاؤه -رضي الله عنه- وفطنته وحرصه على التأسي برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حيث أحرم بما أحرم به الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-.) يعني: عَلَّقَ، وكان يهمّه أن يكون مثل الرّسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

(أما المسألة العامة: فهي جواز مثل هذا أي أنه يجوز للإنسان أن يقول: لبيك أو أحرمت بما أحرم به فلان ممن يثق بعلمه ودينه مع أنه سيكون مجهولًا له حتى يصل إلى فلان.)

وأحيانًا تأتي تقول: (أنا أحرمت بما أحرمت به جماعتي)، أو (مخيّمي)، أو مثل هذا. يعني: مثلهم، أحرمت مثلهم. وهذا غالبًا يكون في الجماعات الصّغيرة، الّتي سيكون لها قائد، وسيتوجّهون كقافلة في نسك واحد.

وهذا يحصل كثيرًا مع أهل جدّة، أهل الطّائف يخرجون اليوم الثّامن صباحًا من ديارهم، من الطّائف، وجدّة، ويقبلون على مكّة. فمثلًا: هذه السّنة اليوم الثّامن، يوم التروية؛ يكون يوم جمعة، فمن الصّعوبة أنّهم يدخلون ويأخذون عمرة، يعني: يطوفون، ويسعون، طواف القدوم، وسعي الحجّ للمُفرد والقارن، وطبعًا في الأصل مثل هذا التّمتع فيه ليس صحيحًا؛ لأنّ التّمتّع، يعني: أن تطوف وتسعى وتحلّ؛ إنّما شُرع بحكمة الله لمن سيقضي زمنًا في مكّة، وهذا يفهمه الإنسان حين يكون في مثل هذه الأيّام في مكّة، ويرى النّاس لولا هذا النّسك، نسك التّمتّع، لشقّ عليهم الشّأن جدًّا، كانوا بقوا بإحرامهم هذه المدّة الطّويلة، أو كانوا تزاحموا وجاؤوا كلّهم في توقيت واحد، لكن ما أحكم ربّ العالمين، الرّؤوف الرّحيم، في شرعه، وما أرأف الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، بأمّته!

نعود للشّاهد الآن: هي الآنلما تعرف النَّسَائِك، وجماعتها إخوتها، وقرابتها سيركبون الحافلة الآن، وهم متوزّعون في داخل الباصات. ما سألتهم: (أنتم ستلبّون، ماذا تقولون؟)، فتركب الحافلة، فيقول لهم المرشد: (الآن لبّوا بالنّسك)، يعني: المفرد منكم المفرد، والقارن القارن، وكثير يكونون متمتّعين أيضًا يدخلون في مثل هذا الباب، يعني: على أنّه أفضل النّسك الّذي يرونه. هي الآن لا تدري: ماذا يريد إخوتها؟ أخواتها؟ جماعتها الّتي ذهبت معهم؟ فوالله أعلم يصحّ أن تقول: (أنا نسكي مثلهم)؛ من أجل أن لا تفترق عنهم.

وعادة في مثل هذا هم يقولون: (من يريد أن ينزل إلى مكّة؟ من يريد أن يذهب على منى مباشرة؟) في اليوم الثّامن، يعني: في يوم التّروية، فهي تدخل في نسكهم وتفعل مثل فعلهم، يعني: في مثل هذا.

وهذا كثيرًا ما يأتي عنه السّؤال: (أنا ما قلت هل أنا مفردة أو متمتّعة أو قارنة؟ ماذا أفعل الآن؟) فَتُسْأَل أوّل سؤال: (هل قصدتِ أن تكوني مثل هؤلاء؟) يعني: مثل جماعتك الّذين خرجت تحجّين معهم؟ الحقيقة أنّه الغالب يكون الجواب: نعم. فيكون موقف عليّ هذا -رضي الله عنه- من الفوائد المهمّة للمسلمين.

(فإذا قال: أحرمت بما أحرم به فلان وكان فلان قارنًا فهل لهذا إذا لم يكن معه هدي أن يحل بعمرة ؟)

الآن هذه حالة أدقّ: الّذي معه هَدْيٌ، يعني: ساقه بنفسه؛ فإنّه لا يحلّ حتّى يبلغ الهَدْيُ محلّه. الّذي قال: (أنا سأكون مثل فلان)، وهو ليس معه هَدْيٌ، ووصل، وأراد أن يحوّل نيّته إلى التّمتّع، أن يحلّ بعمرة مثل الصّحابة؟

(الجواب: نعم لأنه لو أحرم به من أول فإننا نأمره أن يحل بعمرة فكيف إذا كان مقتديًا بغيره)

ماذا يقصد الشّيخ؟ والله أعلم لو جاء سائل وسأل: أنا وصلت إلى مكّة،مثلًا: جاء يوم ٢١ ذو القعدة، أو حتّى ١ ذو الحجّة، جاء على أساس أنه معتمر وحاجّ في نفس الوقت، يعني: قارن، لكن ما ساق

الهَدْيَ، في نيّته أنّه يشتري هَدْيًا من هنا، الصّكوك الّتي تُباع؛ فيسأل، فيقول: (عرفت أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أمر أصحابه بأن يحلّوا بعمرة، أو عرفت أنّ التّمتّع أفضل من القران، أو صعُب عليّ أن أجلس كلّ هذه الأيّام محرمًا، ما كنت أفهم أنّه من الممكن أن أخلع الإحرام، أو ما كنت أفهم أنّه لابدّ في القران أن أبقى بإحرامي مثلًا، هو جاء قارنًا، وصل مكّة، ولم يسق الهَدْيَ، على أنّه يذبح الهَدْيَ في مكّة؛ سيُشبه من الآن في هذا الموقف؟ سيُشبه الصّحابة الّذين لم يسوقوا الهَدْيَ، وأمرهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يحلّوا؛ هنا هو باختياره إذَا كان يريد أن يغيّر النّسك.

السّؤال مرّة أخرى: (فهل لهذا إذا لم يكن معه هدي أن يحل بعمرة؟ الجواب: نعم لأنه لو أحرم به من أول فإننا نأمره أن يحل بعمرة)

يعني: يمكن أن نأمره أن يحلّ بعمر، أو نقول له: هذا الأفضل خاصّة فيمن كانوا بأزمنة طويلة. (فكيف إذا كان مقتديًا بغيره) من باب أولى إذَا كان أصلًا ما نوى القران، وقال: (أنا مثل فلان) وبعد ذلك وصل، ووجد أنّ فلانًا ساق الهَدْيَ، وهو ما ساق الهَدْيَ؛ فالأولى في حقّه أن يقلبها إلى عمرة، ينتهي من السّعي، ويقصّر شعره.

وننبّه: أنّ التّمتّع شرع لأجل هذه الغاية، وهي: غاية الانتفاع من الأيّام الّتي تكون ما بين النّسك الأوّل والنّسك الثّاني، ما بين العمرة وما بين والحجّ.

ولماذا بقي عليّ على ما هو عليه؟

قال الشّيخ: (ولكن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أشركه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في هديه وجعل منه نصيبًا. ولهذا قال: معي الهدي فلا تحل.)

وهو ابن عمّه، فأشركه في هديه، وأنا أردت بكلمة: ابن عمّه، يعني: أنّ هذا ابن عمّه، وزوج ابنته، فأشركه معه في هديه للقرابة، ولما بينهم من صلة، فأشركه -صلّى الله عليه وسلّم- في هديه.

(وظاهر هذه العبارة أن من أحرم بمثل ما أحرم به فلان وكان فلان قد ساق الهدي ولم يحل فإن الثاني لا يحل لكن هذا مقيد بما إذا كان الثاني قد ساق الهدي أو مشاركًا له فيه كما سيأتي في سياق الحديث أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أشرك عليًا -رضي الله عنه- في هديه.)

وهذا الشّيء الّذي يجعل الحُكم مختلفًا. دائمًا هنا يأتي سؤال: (هل اليوم موجود سَوْق الهَدْي؟) الحقيقة إلى وقت قريب كان سَوْق الهَدْي موجودًا، وفي الدّول المتفكّكة عن الاتّحاد السّوفياتي، أوّل ما سقط، وهناك عندهم هذا الخير، الله -عزّ وجلّ- مُنْعِمٌ عليهم بمراع خصبة، فكانوا يسوقون الهَدْيَ في سيّاراتهم، يمشون كقافلة ويركّبونها في السّيارة ويمرّون على القُرى، فكان ممّا يُحَدَّثُ به: أنّهم لمّا كانوا يمرّون على القُرى التركيّة، والقُرى السّوريّة -نسأل الله أن يرفع عن إخواننا في كلّ مكان- كان أهل القُرى يُطعمون هذا الهَدْيَ، ويَسقونه، ويفرحون

به، ويبتهجون -فسبحان الله- سوق الهَدْيَ إظهار لِشَعيرة عظيمة! وهذا إلى زمن قريب. الظّاهر أنّ الحروب، حرب العراق، وما هو في سوريا أيضًا، هذا سبب، والسّبب الآخر: ربّما الحجر الصّحّي وما يتّصل به، فأصبحت المسألة ضيّقة جدًّا، وأصبح الأسهل على النّاس بدل سَوْق الهَدْي -خصوصًا أنّ السّفر خارجًا فيه هذه العوائق من الجهتين: من جهة العراق، ومن جهة سوريا، فتخلّى النّاس عن هذا- وأصبح سوق الهَدْيَ قليلًا جدًّا، لن نقول معدومًا -الله أعلم- لكن مثلًا: لو نحن نتكلّم عن داخل مكّة؛ سَوْق الهَدْي سهل للنّاس جدّا، يعني: أهل المنطقة الشّمالية يمكن أن يسوقوا هديهم، وينزلون على مكّة به، لكن النّاس أصبحوا يستثقلون مثل هذا، يركبون الطّائرات، ويأتون بها، ويتركون البرّ، فيقلّ مثل هذا: سوق الهَدْيَ؛ مع أنّ هناك مصالح كثيرة في سَوْق الهَدْي، وأهمّها: إظهار الشّعيرة، فيمرّون على النّاس وهم موسومون بأنّهم إبل أو غنم تتحرّك من هنا حتى تُهدى في مكّة، فتقع الهيبة في نفوس النّاس لمكّة الّتي يُساق إليها الهَدْيَ، ويكون هذا عزًّا لمكّة، ويكون هذا توسيعًا على أهلها، ويكون هذا من قبيل أنّ الأرزاق تُساق لهذا البلد الآمن من كلّ مكان.

(وقوله: «قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- مِائَةً».) هذا كلام جابر -رضي الله عنه- يقول:

«وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ» عرفنا هذه القصّة «فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- مِائَةً»

قوله: «جَمَاعَةُ» أي مجموع الهدي و(مائة) بالألِف ولكن هذه الألِف لا ينطق بها والناطق بها يعتبر لاحنًا بل يقال مئة كما يقال فئة بدون نطق الألف.) يعني: هذه فائدة لغويّة.

(وقوله: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ» «يَوْمُ» بالرفع مع أنه ظرف زمان لأنه هنا سلبت منه الظرفية فـ «يَوْمُ» هنا فاعل «كَانَ» وكان هنا تامة وليست ناقصة فلا تحتاج إلى اسم وخبر) فالمعنى يكون ماذا؟ (والمعنى: لما جاء يوم التروية) يعني: فيصير اليوم فاعلًا.

(توجهوا إلى منى. ويوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة وسمي بذلك لأن الناس يترووون فيه الماء لما بعده يعني يستسقون فيه الماء ليوم عرفة وأيام منى. ومن هذا اليوم إلى آخر أيام التشريق لكل يوم من هذه الأيام الخمسة اسم خاص)

وعلى المسلم أن يحفظ هذه الأسماء! (فالثامن) يُسمّى: (يوم التروية والتاسع يوم عرفة والعاشر يوم النحر والحادي عشر يوم القر والثاني عشر يوم النفر الأول والثالث عشر يوم النفر الثاني.) والله إنّها أيّام تمرّ على الحجّاج كغمضة عين! ومع ذلك تجد كثيرًا منهم يلتهون! والله حكيم أنّه لم يحبس الشّياطين.

وبالمناسبة في الكلام حول التّروية: وأنّهم كانوا يستسقون فيه الماء، والحمد لله هذه الأيّام الماء متوفّر. لكن هناك تنبيه مهمّ هنا: صحيح أنّ الماء متوفّر لكن -خصوصًا هذه السّنة، والحمد لله على كلّ حال- الحرارة جدًّا شديدة -نسأل الله أن يبرد على الحجّاج- والأمر بيد الله، وهو على كلّ شيء قدير، لكن الحرارة جدًّا شديدة ليلًا ونهارًا، طبعًا نهارًا ما يوصف، حتّى ليلًا -سبحان الله- بقايا الحرارة موجودة، فتكثر الحاجة إلى الماء، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: الماء يكون متوفّرًا، لكن مع كثرة الحجّاج؛ مهما توفّر، يبقى الحاجة إليه. الحاجة إلى الماء شديدة جدًّا خصوصًا هذه السّنة.

فكلّ من له طريق لسقي الحجّاج، فليكن هذه السّنة مجتهدًا فيه، خاصّة هذه السّنة! -والحمد لله- هناك تسهيلات كثيرة في مسألة السُّقْيَا، حيث أعطوا تصاريح لشركات الماء أنّها تدخل بنفسها تسقي، يعني: أنت تشتري من شركة الماء، وشركة الماء تذهب بنفسها تسقي.

فالله يكثّر خير المسلمين، ويوسّع عليهم، ويحنّن قلوب الأغنياء على فقرائهم، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

(وقوله: «تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى» الضمير يعود على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه توجهوا من الأبطح لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- نزل هناك في الأبطح ولم يذكر جابر -رضي الله عنه- أن أحدًا من الصحابة -

رضي الله عنهم- جاء إلى البيت وأحرم منه ولو أن أحدًا فعل ذلك لبينه.)

الآن سنرى الإحرام الجديد الّذي سيكون بعدما أحلّوا أوّل مرّة.

(وقوله: «إِلَى مِنًى» منى: اسم مكان معروف وسميت بهذا الاسم لكثرة ما يمنى فيها من الدماء. أي: يراق من الدماء وهي من حيث الإعراب مصروفة فنقول: منىً بالتنوين. وحدُّها شرقًا وغربًا من وادي محسر إلى جمرة العقبة.)

يعني: آخر منى جمرة العقبة، النّاس الّذين يذهبون يحجّون، لو تقدّموا قليلًا على جمرة العقبة، تقريبًا ١٥ مترًا؛ سيصيرون في مكّة، يعني: جزء من جسر الجمرات الّذي هو بعد جمرة العقبة يُعتبر من مكّة.

أنا أؤكّد على ذلك: لأنّ بعض النّاس المفترشين على رصيف الصّالحين -كما يعبّرون- يأتون في اللّيل ويجلسون هناك بعد جمرة العقبة، وهم بهذا يكونون في مكّة وليسوا في منى! على فتوى قضاء بعض اللّيل في منى، فيجلسون في هذه الأرصفة؛ هذه الأرصفة الّتي تكون بعد جمرة العقبة إنّما هي في مكّة! فليس هناك فرق أبدًا بين أن يكونوا في شقّهم في مكّة، وبين أنّهم يجلسون في هذا الرّصيف!

والمشكلة: أنّهم يكونون كثيرين جدًّا فلا تستطيعين التنبيه! الله المستعان! يعني: هذه مشاكل من الجهل طبعًا، ومن عدم اتّباع المصالح

المرسلة، يعني: من المصالح المرسلة ترك الافتراش! الله يوسّع على المسلمين.

ووادي محسر هو الّذي حُسر فيه الفيل، ومنع.

(ومن الشمال والجنوب قال العلماء رحمهم الله: كل سفوح الجبال الكبيرة ووجوهها التي تتجه إلى منى من منى. وبناء على هذا تكون منى واسعة جدًا وتسع الحجاج لو أنها نظمت تنظيمًا تامًا مبنيًا على العدل. لكن بعض الناس يتخذ مكانًا واسعًا يسع أكثر من حاجته.)

الحمد لله هذه الأيّام الأمر أيسر، يعني هناك ضبط لهذه المسألة، ومنى عمومًا بجبالها تسع تقريبا ٧ أو ٨ كم، لكن المستغلّ فعليًّا الآن تقريبا النّصف أو أكثر من النّصف، يعني: ٤ أو ٨ من ١٠ من مساحتها تقريبا مستغلّ، دعونا نقول: أكثر من النّصف يمكن يصل إلى ٦٠ في المائة من مساحتها الشّرعيّة، الباقي سفوح الجبال الّتي هي المناطق الوعرة الّتي يصعب استعمالها، إلّا أنّ الله -عزّ وجلّ- قد سخّر أسبابًا الآن للاستفادة من سفوح الجبال، وننتهي من مسألة مزدلفة -إن شاء الله-قريبًا، وننتهي أيضًا من مسألة السّكنى في مكّة ربّي يفتح على هذه الدّولة المباركة، ويجعل من بركتها الاستفادة من جبال منى؛ لأنّ هناك حرج شديد عند النّاس أن يسكنوا في مزدلفة وإن كانت -لأنّها ممتدّة- فهي في حكمها، يعني: الخيام ممتدّة فهي في حكمها، لكن لو بُنيت الطّوابق على الجبال فالحمد لله.

(مسألة: توجد مشكلة في الوقت الحاضر. يقول بعض الناس: أنا لا أجد أرضًا بمنى إلا بأجرة فهل يجوز لي أن أستأجر أرضًا في منى؟ فالجواب: نعم، يجوز والإثم على المؤجر الذي أخذ المال بغير حق أما المستأجر فلا إثم عليه.

ولهذا قال فقهاء الحنابلة رحمهم الله: لا يجوز تأجير بيوت مكة ولكن إذا لم يجد بيتًا إلا بأجرة دفع الأجرة والإثم على المؤجر وبيوت منى وأرضها من باب أولى لأن منى مشعر محدود محصور، فأين يذهب الناس إذا استولى عليها من يقول: أنا لا أُنزل فيها الناس إلا بأجرة ؟!)

يعني: يأتي يضع يده على المنطقة، ويحوّطها، ويضع خيامًا، ويقول: (هذا مكاني، إذَا كنت تريد أن تسكن ادفع أجرة، وأدخلك أنت وحجّاجك)، طبعًا الشّيخ هنا يتكلّم عن شيء قديم، الآن المسألة مختلفة تمامًا، والدّولة تؤجّر المساحات على المطوّفين، ليس الأرض؛ وإنّما الخدمات: الخيمة نفسها والخدمات، يعني: كأنّه متعهّد وجاء أوصل لهم الماء، وأوصل لهم الكهرباء، وبنى لهم الخيام، وهم من الدّاخل يكملون ما يريدون على حسب فئتهم؛ لأنّ كثيرًا من المطوّفين يقولون: (هم يؤجّرون علينا الأرض!) هي ليست الأرض المؤجّرة هنا؛ إنّما الخدمات المقدّمة، هي الّتي يُعتبر هذا مقابلا لها.

نعود الآن إلى مكّة، الشّيخ سيشير، يقول:

(أما مكة فيمكن أن ينزل الإنسان بعيدًا)

يعني: إذَا استولى أحد على الأراضي، وقال: (أنا لن أسكّن النّاس!) فيمكن أن يسكن بعيدًا.

(ولكن منى وعرفة ومزدلفة مشاعر كالمساجد، لا يجوز لأحد إطلاقًا أن يبني فيها بناءً يؤجره ولا أن يختط أرضًا ويؤجرها فإن فعل فالناس معذورون يبذلون الأجرة والإثم على الذي أخذها.)

الأمر واضح والحمد لله.

(وقوله: « وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ) يُقصد: في منى (صلى بمنى خمس صلوات كل صلاة في وقتها بدون جمع لأنه لو كان يجمع لبيّنه جابر -رضي الله عنه- فإن الجمع خلاف الأصل ولما لم ينبّه عليه علم أن صلاة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- هذه الصلوات الخمس صلاة مفرودة كل صلاة في وقتها، الظهر والعصر والعشاء قصرًا لحديث أنس الثابت في الصحيحين أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خرج عام حجة الوداع ولم يزل يصلي ركعتين حتى رجع إلى المدينة[1] وأنس -رضي الله عنه- له خبرة بأحوال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لأنه خادمه.

وقوله: «وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ»)

الآن بعدما صلّى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في منى، وقضى يوم التّروية فيها، خرج من منى.

---

(١) قال أنس رضي الله عنه: " خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين، ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، أخرجه البخاري (١٠٨١).

«فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ»

يعني: أهلّوا بالحجّ من مكانهم، من الأَبْطَح. ويُهِلّ الإنسان من الحجّ، المتمتّعون يهلّون من مكان ما هم فيه، أيّ مكان في الضّحى يهلّوه.

«وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ» إذًا: «الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ» ليوم التّروية، «وَالْفَجْرَ» من يوم عرفة «ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ» سبقوه وراحوا يضربون القبّة.

«فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»:

(وقوله: «وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ» قريش لحميتها الجاهلية وتعصبها لا تقف يوم عرفة إلا في مزدلفة) يعني: تترك عرفة وتقف في مزدلفة، لماذا؟ (تقول نحن أهل الحرم فلا نخرج إلى الحل) لأنّ: عرفة حِلٌّ كما هو معلوم. (وأما بقية الناس فيقفون في عرفة لكن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- جدد الحج على مشاعر إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى الله عليه وسلّم- حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ» أجاز بمعنى تعدى يعني جاوز مزدلفة إلى عرفة.)

وتركها؛ لأنّهم كانوا يخرجون من منى إلى مزدلفة ويقفون، ويقولون: (نحن حمص) تقف قريش، والنّاس تخرج من منى إلى مزدلفة، وتتعدّى مزدلفة تخرج إلى عرفة، فهي بهذا التّرتيب الأماكن. بعدما ينتهي الحرم، الحرم ينتهي عند مزدلفة، بعد مزدلفة تأتي عرفة، عرفة واسعة، حِلٌّ، فكانوا لا يخرجون؛ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- جاوز المزدلفة إلى عرفة.

(وقوله: «فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا» أجاز النبي -صلّى الله عليه وسلّم- حتى أتى عرفة وكان قد أمر أن تضرب له قبة بنمرة[1] ونمرة ناحية معروفة بعرفة.

(وهي قرية قرب عرفة فضربت له القبة بنمرة فنزل بها حتى زالت الشمس وهذا النزول فيه استراحة بعد التعب من المشي من منى إلى عرفة لأن هذه هي أطول مسافة في الحج -من منى إلى عرفة- فبقي النبي -صلّى الله عليه وسلّم- هناك واستراح.)

وهذا الحقيقة الّذي من المفترض أن يكون من الحجّاج؛ أنّهم في الفترة الّتي قبل الظّهر؛ تكون فترة استراحة لهم، يستعدّون لما بعد الظّهر؛ لأنّ وقت العبادة الّتي أمرنا بها بعد الظّهر، يعني: بعد الزّوال، أوّل ما نصلّى الظّهر، والعصر، جمع تقديم؛ بعد ذلك يبدأ وقت الدّعاء.

---

(١) نمرة: بفتح أوله وكسر ثانيه أنثى النمر، ناحية بعرفة نزل بها النبي صلّى الله عليه وسلّم وقيل الحرم من طريق الطائف على طرف عرفه من نمرة على أحد عشر ميلًا وقيل نمرة الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك إذا خرجت من الملزمين تريد الموقف. معجم البلدان ٥/ ٣٥٢.

(وظاهر السياق أن نمرة من عرفة لأنه قال: «حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ» وهذا يدل على أن نمرة من عرفة وأنها جزء منها فتكون نمرة اسم لمكان معين من عرفة.

وهذا أحد القولين لأهل اللغة وأهل الفقه فإن أهل اللغة وأهل الفقه اختلفوا هل نمرة من عرفة أم لا؟ فجزم النووي رحمه الله[1] وجماعة بأنها ليست من عرفة وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد -رحمه الله- وهذا هو الصواب لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أذن ببناء الخيمة فيها ولو كانت مشعرًا لم يأذن ببناء الخيمة فيها ولهذا ما بني له خيمة في عرفة ولا بني له خيمة في منى حتى إنه يروى أنه قيل له ألا نبني لك خيمة في منى فقال: (لا منى مناخ من سبق)[2])

يعني: الّذي يسبق لا يبني خيمة؛ الّذي يسبق حين يصل يضع رحاله، ويجلس فيه، وقتها يضع لنفسه خيمة. لكن أنّه يسبق، بمعنى عندنا: الحجز، يعني: يذهب أحد يحجز له مكان. لا، قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «لا منى مناخ من سبق» فإذَا وصل يُنيخُ دابّته، يُنزّل رحله، يضرب لنفسه خيمة، ويجلس فيها محلّ ما يصل.

(هكذا روي عنه وكونه يأذن أن يبنى له خيمة في نمرة يدل على أنها ليست من المشاعر وإلا لما أذن فيها.)

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ٨/ ٤١١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٨٧/٦، ٢٠٧.

لأنّ القاعدة أنّ هذه المشاعر «مناخ من سبق»، طبعًا هذا لمّا كان النّاس عددهم محدودًا، وكان الأمر مبنيّ على التّقوى، وحين حصل ما حصل كان -الحمد لله- من كثرة المسلمين وقلّة التّقوى للأسف فكان لابدّ أن يكون للسّلطة مكان.

(وأما قوله « حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ » فمعناه بيان لمنتهى تجاوزه وأنه لم يقف بمزدلفة كما كانت قريش تفعل) ولا تعني هذه الجملة أن نمرة من عرفة، (بل تجاوزها حتى بلغ عرفة التي هي موقف الناس كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[1] والناس يفيضون من عرفة ولهذا لم يقل: «فوجد القبة قد ضربت بها في نمرة».

وذهب آخرون إلى أنها من عرفة وهو قول جماعة من أهل الفقه ومن أهل اللغة أيضًا كما في القاموس[2] وسيأتي إن شاء الله ما يترتب على هذا الخلاف من الحكم في الفوائد.).

نحن بهذا يكون انتهى وقت كلامنا نسأل الله أن يبارك وينفع ويجزل المثوبة للسّامعين، ويجعله فقها في الدّين، اللّهمّ علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) البقرة: ١٩٩.

(٢) ٤/ ٤٤٢.